﴿ المباحث الحكمية ﴾

(احوال النفس وتربية القوى العقلية)

تأليف

(محمد فريد)

الحائز لقب بروفسور من كلية برلين

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(طبع بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر)

obeikandi.com

فهرست

كتاب المباحث الحكمية

صحيفة		
٢	٦	مقدمة الكتاب
٦	١٥	مقدمة العلم (٦) ثمرة العلوم الفلسفية (٧) تقسيم العلوم الفلسفية (٨) تقسيم علم النفس (٩) استمداد علم النفس (١٠) العالم النفسى (١٢) المجموعة العصبية . تقسيم الأعصاب الى نوعين (١٣) أهمية علم النفس لجميع العلوم لاسيما العلم صناعة التربية والتعليم
١٥	١٢١	القسم الاول فى التكلم على كل جزء من أجزاء العالم النفسى وفيه ثلاثة أبواب
١٥	٦٠	الباب الاول فى المعرفة وفيه فصلان وتذييل
١٥	٢٧	الفصل الاول فى الشعور (١٧) كيفية حصول شعور النفس بعد حصول التأثير الخارجى والتهيج العصبي (٢٠) ارتباط قوة الشعور بقوة

obeikandl.com

صحيفة

التأثير الخارجى (٢١) ماهى نتيجة اختلاف التأثيرات
قوة وضعفا (٢٢) لزوم عدم نقص المؤثر الخارجى
عن درجة مخصوصة اذا لزم حدوث شعور عنه
(٢٣) الشعور الشخصى (٢٤) دوام الشعور هل
لأنواع الشعور تحقق فى الخارج . تقسيم الشعور الى
بسيط ومركب (٢٦) * أهمية الحواس بالنسبة
للمعلومات النفسية وبيان الواجب على المربين
والمعلمين

٢٧ ٥٨ * الفصل الثانى فى التصور وسيره والتخيل والتذكر
والتعقل * (٢٨) الفرق بين التصور والشعور . الفرق
بين التصور والتعقل (٢٩) الفرق بين الشعور
والتعقل . تقسيم التعقل الى بسيط ومركب . تقسيم
التصور الى مستقل وغيره (٣١) سير التصور وما
يحتوى عليه (٣٢) تقسيم ارتباط التصورات بغيرها
(٣٣) نتيجة تكرار ارتباط أنواع التصور بعضها .
سبب غيبوبة التصور (٣٤) مزاحمة بعض

obeikandi.com

التصورات البعض الآخر وسبب سرعة نسيان أعداد السنين التاريخية (٣٥) * الانتباه وأنواعه وما يجب على المعلم ان يفعله بخصوصه (٣٦) سبب تشتت الفكر (٣٧) تقسيم التصور الغير المستقل . تصور الجزئى (٣٨) تصور الكلى (٣٩) الفرق بين الفكر ومطلق ارتباط التصورات ببعضها . الادراك (٤٠) تصور الدنيا وتصور الامرين المهمين فى العالم الدنيوى . تصور الوقت (٤١) مرجع الحكم على الوقت بالطول والقصر (٤٢) تصور المكان وما يستدعيه هذا التصور (٤٣) تصور ابعاد الجسم الثلاثة مع بعضها (٤٤) مبحث كون النفس التى ليست بمكان تدرك الصور المكانية وما قاله المحقق لوتسه فى ذلك (٤٥) أنواع التذكر (٤٧) * ما الذى يحصل أو لا عند الرضيع من أنواع التذكر . صور التخيل (٤٨) الفرق بين الصور المتذكرة وصور التخيل . التخيل المحلى والوقتى (٥٠) * أهمية التخيل المحلى والوقتى لصناعة التعليم وبيان الواجب تقديمه عند تعليم الاطفال (٥٢) * بيان الواسطة فى تعليم وتعلم ما لا يشاهد بالبصر (٥٣) * أهمية القوة المخيلة المكانية لتعلم التاريخ والرسم والكتابة (٥٤) * أهمية قوة التخيل الوقتى لتعلم التاريخ واللغات * السبب

صحيفة

في صعوبة تعليم التاريخ واللغات وتعلمها و
مايزيل هذه الصعوبة (٥٥) اهمية التعقل بالنس
لادراك العالم الخارجي وبيان ماقاله الفيلسو
كنت في هذا المقام (٥٦) بيان الامور الاسا
النفسية التي يلزم حدوثها عند الطفل قب
حدوث قوة التعقل عنده

٥٨ ٦٠ ﴿ تذييل ﴾ في بيان حقيقة المعرفة وأنواعه
والانتقال من المعرفة الى علمها

٦٠ ٧٠ ﴿ الباب الثاني في الاحساس ﴾ . بيان حقيقة
وأقسامه والفرق بينه وبين التصور والشعو
(٦١) عدم امكان الحكم بان العدم للانسا
خير له من الوجود . تقسيم الاحساسات ا
جسمية ونفسية وتقسيم الاخيرة الى وضي
ورفيعة (٦٢) السبب في حدوث الاحساس
النفسي (٦٣) سير الاحساس وامتزاجه بغير
. درجة الاحساس (٦٤) * قيمة الاحساس

صحيفة

نسبية لا مطلقة (٦٥) *اذا تكرر الاحساس صار عديم الفائدة الا اذا كان احساسا رفيعا (٦٦) امتزاج الاحساسات بعضها . الاحساس الانوى والأخوى (٦٧) اختلاف مضمون الاحساس الانوى عند الناس (٦٨) اهمية الاحساس بالنسبة لحياة النوع الانسانى

٧٠ ١٢١ *الباب الثالث فى الارادة وما يتعلق بها* . أنواع الحركات . النوع الاول الحركات القسرية . بيان اسبابها وموانعها وموضعها (٧٢) الوقت الطبيعى والاختيارى وبيان الفرق بين حركة الاحساس الطبيعي والحركة القسرية . النوع الثانى الحركات التقليدية (٧٣) النوع الثالث حركات العبارة (٧٤) * حركة العبارة تحدث عند الطفل بواسطة التقليد (٧٥) * الاشارات والعلامات اللغوية والحروف الهجائية (٧٦) *كيف يصل الطفل الى النطق (٧٧) * ماهو

السبب فى سرعة تعلم بعض الاطفال النطق والتكلم وبطء البعض الآخر (٧٨) * اهمية اللغة ونسبتها الى الفكر (٨٠) *ضرورة نطق التلميذ بما يتعلمه وبيان الواجب على المعلمين (٨١)* استلفات أنظار حضرات معلمى اللغة العربية (٨٢)* بيان الامور التى يلزم تعلمها فى كل لغة . * الامر الاول القواعد (٨٤)* الامر الثانى فقه اللغة وبيان ما يلزم له (٨٦)* الامر الثالث الانشاء بنوعيه وبيان ما يجب اتباعه عند تعليمه (٨٧)* الانشاء الشفهى (٨٩)* الانشاء التحريرى (٩٣) الباعث الطبيعى والشهوة والرغبة والعزم والفرق بين الباعث الطبيعى والاحساس الطبيعي (٩٤) انواع الشهوة (٩٥) مراتب الشهوة . اختلاف درجات الشهوة (٩٦) الارتباط بين الارادة وبين الشهوة والفكر والاحساس والعمل . الارادة والشهوة (٩٧) شروط الارادة . الارادة والفكر . الارادة والاحساس (٩٨) اختلاف جهات الارادة (٩٩) الارادة العقلية . الارادة والعمل . العمل القهرى والاختيارى (١٠٠) * الامور التى تجب مراعاتها بالنسبة للارادة والعمل عند القيام بصناعة التربية والتعليم (١٠٦) الشغل وأقسامه وشرطه والفرق بينه وبين اللعب (١٠٨)* تعويد

صحيفة

الاطفال على الشغل وتربيتهم لذلك وما يجب
على الوالدين والمربين والمعلمين (١٠٩) * طور ا
الولد (١١١) *التعب والراحة وبيان سير التعليم
(١١٢) *تكوين ارادة الفضائل وما يلزم فعله عند
التربية بالنسبة لذلك (١١٤) *السجية (الخلق
الثابت) (١١٥) * تكوين الخلق (١١٦) حرية
الارادة (١١٧) آراء العلماء فى شأن حرية الارادة
(١١٨) ارتباط العالم النفسى بعضه (١١٩) ارتباط
المعرفة بالاحساس والارادة . ارتباط
الاحساس بالتصورات والارادة (١٢٠) ارتباط
الارادة بالاحساس والتصور

١٢١ — ١٣٩ ﴿القسم الثانى يشتمل على مباحث تتعلق بحقيقة
النفس﴾ (١٢٢) وجود النفس (١٢٣) أوصاف
النفس (١٢٤) ماهية النفس والآراء التى قيلت
فى شأنها (١٢٥) القول بالمادة . شبهة القائلين
به (١٢٦) نقض هذا القول . الاعتراض الذى

obeikan.com

يوجهه القائل بالمادة على غيره (١٢٧) القول بالنفسية . شبهة القائلين بهذا القول (١٢٨) نقض هذا القول . تعديل هذا القول . القول بالثنية (١٢٩) شبهة القائلين بهذا القول . نقض هذا القول (١٣٠) القول بالوحدة (١٣١) خفاء المراد من هذا المذهب . تعديله فى الاوقات الاخيرة (١٣٢) التأثير التبادلى بين الجسم والنفس (١٣٣) الارتباط بين النفس والجسم . القريحة والاستعداد (١٣٤) بيان ما ذكر قديما وحديثا فى شأن الاستعداد (١٣٥) الوراثة (١٣٦) تأثير الاصول على الفروع (١٣٦) مملكة النفس (١٣٦) محل النفس (١٣٧) القول الصحيح فى ذلك

﴿ تمت ﴾

obeikandi.com

كتاب

المباحث الحكمية

في

أحوال النفس وتربية القوى العقلية

تأليف

(محمد نصار)

الحائز لقب بروفسور من كلية برلين

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(طبع بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر)

(سنة ١٣١٧ هـ سنة ١٩٠٠ م)

obeikandl.com

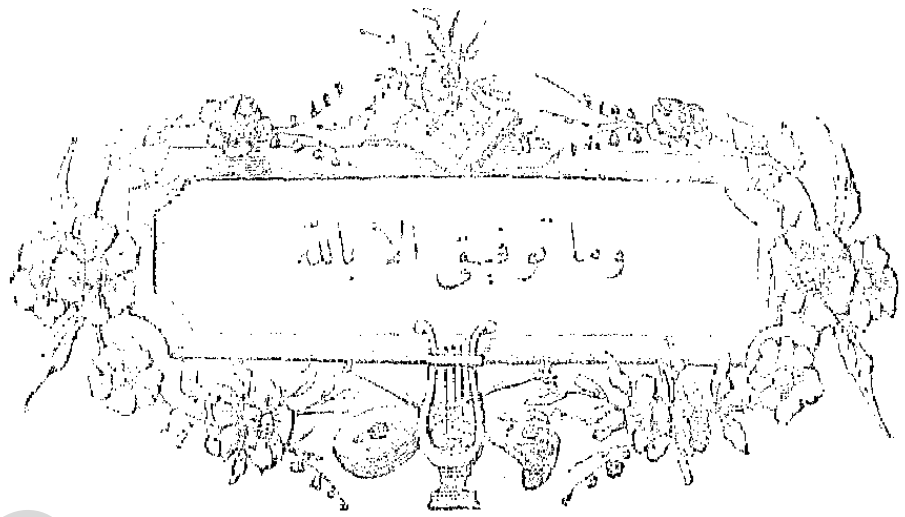

بسم الله الرحمن الرحيم

لله واهب العقول رب البرايا . والصلاة والسلام على خير من أوتي الحكمة وخص بأكمل المزايا . وبعد فليس الباعث على تأليف هذا الكتاب الفخار وحب الشهرة أو جمع المال . ولكن الوطن يقضي على ذويه أن يؤدوا له مايستطيعون من الاعمال المفيدة ويبذلوا في اعلاء شأنه مايتسنى لهم من المساعدات ويقوموا بأية خدمة تقدمه أدبية كانت أو مادية وقد اخترت أولى الحالتين لانها أيسر لي واختصصت من بين أفرادها علم النفس وتربيتها لكوني قد سبرت نتائج تربية الغربيين بمسبار العيان والمشاهدة حينما كنت مقيما بعاصمة الدولة الالمانية لتدريس اللغة العربية . بمدرسة اللغات الشرقية . فالفيت ان

التربية بأنواعها أتت هناك بالثمرات المقصودة منها لا سيما عند الاسرات الشريفة . فالكل قد حصلوا على أنواع الفضائل واتصفوا بأغلب صفات الكمال التي تهم صناعة التربية لان الصدق سائد بين الافراد في المجتمعات والمعاملات . وحب الوطن قد غرست جذوره في قلوبهم . وتشعبت فروعه بين أعصابهم وعروق دمائهم . حتى يخيل لمعاشرهم ان هذا الامر المعنوي صار مجسما وظهر بمظهر الافراد أو انهم قد استحالوا اليه . ولا تسل عن اتصافهم بالعزم القوي والامانة الحقة واتباع ما هم عليه من الدين والاتحاد والالفة وحسن المعاملة وغير ذلك من الاوصاف الحميدة التي لا تقوم لاى أمة قائمة الا اذا اتصفت افرادها بها

ولما قارنت بين تلك النتائج المذكورة آنفاً التي لا تعتبر الا بعضاً من كل وبين نتائج التربية عندنا وجدت فرقاً عظيما كالذي بين الثرى والثريا بل تحققت ان التربية في بلادنا لم تأت أصلا بجزء من آلاف نقصد منها ولم أقف بعد طول البحث على سبب لذلك سوى ان التربية عندنا ليست مؤسسة على أساس قويم حيث لم تبن على الاحوال الطبيعية ولم تراع

فيها احوال القوى النفسية لخفائها على أغلب المربين مع ان العلم بها من ضروريات القائمين والقائمات بصناعتى التربية والتعليم

ولا لوم عليهم فى ذلك — اذ لم يوضع كتاب قبل هذا يبين أحوال النفس وقواها وما ينبغى للمربين والمعلمين ان يسلكوه عند تربية اى قوة من تلك القوى مع ان تقويم النفوس يحتاج اليه أشد من افتقار الجسم للغذاء والماء اذ التربية تكون عارية عن الفوائد المقصودة منها ان لم يعرف القائمون بشؤنها مقاصدها وكذا الطرق التى تقود اليها من جهة ولم يعلموا أحوال النفس التى يعالجونها من جهة أخرى

فالتربية وكذا التعليم عبارة عن مداواة النفس ومعالجتها من الادواء التى طرأت أوتطرأ عليها أو ايصالها الى درجة الكمال اذا كانت سليمة من العيوب . وحينئذ فالمربى كالطبيب الذى لا يمكنه ان يعرف الدواء الملائم للداء الا اذا عرف أحوال الجسم وظواهره الطبيعية معرفة تامة

وقد تكفل علم صناعة التربية والتعليم ببيان وسائل التربية ومقاصدها وعلم النفس توضيح الاحوال النفسية التى تبنى

عليها تلك الوسائل والمقاصد السالفة . ولهذا كان علم النفس من أهم العلوم التى تستند عليها التربية الصحيحة سيما ان علم صناعة التربية والتعليم لم يصل الى الدرجة الرفيعة التى وصل اليها فى هذا العصر الا بعد ان سار على منهجه ونسج على منواله وبنى فروعه على أصوله

فلما تقدم كله قد اعتنيت اشد الاعتناء بوضع هذا الكتاب الذى سيكون ان شاء الله تعالى للمربين وغيرهم والمتعلمين والباحثين كالماء للظمآن — وقد سلكت فيه الطريق الطبيعى للاحوال النفسية ليسهل على كل فرد ادراكها * وبينت عقب شرح كل حالة ما يحتاج اليه لتربيتها تربية صحيحة * فجاء بحمد الله وافياً بالغرض المطلوب للمربين والمعلمين وكافلا ببيان الاحوال الواقعية لغيرهم ومبيناً كيفية حدوث كل حالة نفسية للباحث عن حقائق الاشياء وكيفية نشوء العالم النفسى — وهو على هذه الكيفية اول كتاب الف باللغة العربية فى هذا العلم — وقد التزمت ان أكف قلمى عن وضع اى عبارة فيه تشتمل على التعقيد ليسهل على كل قارئ فهمه وقطف ثماره وقد قسمته الى مقدمة وقسمين . أما القسم الاول فانه

يبحث عن كل حالة من أحوال النفس أو بعبارة اخرى عن كل جزء من اجزاء العالم النفسى ويشتمل على ثلاثة أبواب . الباب الاول فى المعرفة وفيه فصلان وتذييل . الباب الثانى فى الاحساس . الباب الثالث فى الارادة وما يتعلق بها . وأما القسم الثانى فيشتمل على مباحث تتعلق بحقيقة النفس ودوامها وارتباطها بالجسم

مقدمة

(ثمرة العلوم الفلسفية)

الغرض من العلوم الفلسفية توحيد جميع المعارف والعلوم المتشعبة وازالة الشك عنها وايجاد الرابطة بينها وبين جميع التجارب والمشاهدات الدنيوية بتهذيب نتائج كل فرد من افراد تلك العلوم التى ينبنى بعضها على احتمالات غير ثابتة وفروض لا تحمل البحث ويؤدى بعضها الى نتائج متضادة فانك لو أنعمت نظرك فى معلوماتك التى أخذت بعضها عن الغير لظنك صدقه واكتسبت البعض الآخر منها بنفسك لوجدت انها يستند على فروض لا دليل عليها وعلى تناقض لا يمكن محوه

تقسيم العلوم الفلسفية

تنقسم الفلسفة انقساماً طبيعياً بالنسبة للعالم الطبيعي والعالم النفسي الى قسمين . فلسفة طبيعية . وفلسفة نفسية . تسمى من حيث بحثها عن مادية النفس وأحوالها العمومية (بعلم النفس) ومن حيث بحثها عن أعمال نفس الانسان من جهة نشأتها وتقدمها وتكوينها هيئة مخصوصة هي خلاصة أعمال الانسان العمومية (بفلسفة التاريخ)

وقد أفرد بعض الاحوال التي تدخل في علم النفس لأهميته بمباحث سموا كل نوع منها باسم مخصوص فأفرد البحث عن الفكر الصحيح بعلم المنطق واستقل البحث عن الحسن والجمال (بعلم الحسن) واختص البحث عن الفضائل (بعلم الاخلاق والآداب) وامتاز البحث عن الاعتقاد الديني (بعلم الفلسفة الدينية ؛ الالهيات ؛)

وحيث أن هذه العلوم مختلفة المباحث والمقاصد مع ان الغرض من الفلسفة توحيد جميع المعارف والعلوم فللحصول على هذا الغرض دوّن علم مخصوص يسمى علم ما وراء الطبيعة

يبحث عن ارجاع جميع الموجودات الى أمر واحد وسبب وحيد وهو الخالق جل شأنه

وليس غرضنا الآن أن نبحث عن كل نوع من هذه الظواهر حتى يلزمنا ان نسرد فى هذا المختصر جميع العلوم السالفة ولا ان نبحث عن الفلسفة العامة حتى نضطر الى الخوض فى علم ما وراء الطبيعة بل نريد الاقتصار على المهم منها وهو علم النفس

﴿ تقسيم علم النفس ﴾

هذا العلم ينقسم الى قسمين قسم يبين ظواهر أعمال النفس ويضع لها قوانين وقواعد مخصوصة ويسمى علم النفس التجربى (١) وهو يقابل علم الطبيعة الذى يبحث عن ظواهر الاشياء الخارجية التى تتحرك فى المجال وتتخذ لها فيها مواضع مخصوصة وعن قوانين هذه الظواهر وكذا عن القوى المبنية عليها تلك القوانين . وقسم يحد ماهية النفس ويبين نسبتها الى العالم الظاهرى ويسمى علم النفس العقلى (٢) وهذا القسم الاخير

(١) وهو مأخوذ من التجارب بواسطة العقل (٢) وهو مستمد من العقل وحده

من موضوع علم ما وراء الطبيعة لانه يبحث عن أمور كثيرة منها ماهية النفس ووجودها والتغيرات التى تطرأ عليها ومحلها ودوامها وارتباطها بالجسم والمحل والزمن والنفوس . ولذلك لا يكون علم النفس تاماً من كل الوجوه الا بمساعدة علم ما وراء الطبيعة

استمداد علم النفس

علم النفس يبحث كما سبق عن ظواهر العالم النفسى (انظر ص ٨) ولكون تلك الظواهر لم يكن هناك سبيل الى الوصول اليها والحصول على معرفتها الا مراقبة الباحث أحوال نفسه كانت هذه المراقبة هى الأصل الذى أسس عليه علم النفس والتجربة أعظم مساعد لها سيما اذا تكررت لانها توجه انتباه المراقب (بكسر القاف) وعنايته الى الشىء والى التغيرات التى تطرأ عليه ولم يمكنه انعام النظر فى الظواهر النفسية بغاية التدقيق والتحقيق — الا أنه لا يمكن أحداً أن يضع خواص مسلمة عند كل انسان للشىء الذى يراقب

لكون مراقبة [١] الانسان نفسه حتى مع انضمامها للتجربة ربما تؤدى الى الخطأ والزيغ عن طريق الصواب فضلا عن كونها تختلف عند الافراد لأن عمل الحواس ودرجة الانتباه ليسا متساويين عند كل الناس

ولذا وجب على الباحث فى الظواهر النفسية أن يستعين بما راقبه الغير قبل أن يشرع فى مراقبة نفسه فراراً من الخطأ السالف بيانه. وبهذا تكون اصول علم النفس ثلاثة

﴿ العالم النفسى ﴾

ويتكون العالم النفسى من الشعور [١] والتصور [١] والاحساس والارادة ولا يمكن سد خلل معارفنا ولا جبر احتياجاتنا الا اذا تسنى لنا

أولا — ان نوضح كل جزء من اجزاء هذا العالم النفسى

---

(١) لان الشخص اذا راقب نفسه فكأنه يجزئ مضمونها وهو المعرفة الى اجزاء مختلفة يتوصل بالمعلوم منها الى المجهول ويكون بعض الاجزاء مراقباً (بكسر القاف) والبعض الآخر مراقباً وبذا تضعف قوة المعرفة ويسهل حصول الخطأ فيها

(١) بواسطة هذين الجزئين تحدث المعرفة

توضيحاً شافياً ونبين كيفية ارتباطاتها العمومية بعضها على حسب ما يظهر لنا من المراقبات والمشاهدات

وثانياً — أن نثبت ان هذا العالم النفسى لا يتحقق الا اذا اشتركت فى ايجاده النفس والقوى الفعالة عند وجود الشروط اللازمة وأن من الضرورى لبقائه حفظ صور واشكاله فى الداخل

وثالثاً — ان نبين الحكمة العقلية التى قد وجد هذا العالم لأجلها وكذا العمل الذى يجب عليه أن يقوم به

وبما انه لا يمكن توضيح الامر الثالث توضيحاً تاماً علمياً فالواجب اذن الاقتصار على الاول والثانى وبذل الاستطاعة فى ذكر القوى والشروط التى توجد على مقتضاها كل ظاهرة من ظواهر العالم النفسى — وتوضيح نوع ارتباط هذه الظواهر ببعضها وكيفية طرو التغيرات عليها — وبيان كيفية اشتراك القوى والنفس فى احداث هذا العالم النفسى

ولاجل أن يكون التوضيح وافياً بالغرض وكافلا للمقصود ومقبولا عند العقل يلزمنا أن نسلك الطريق الطبيعى للظواهر النفسية بأن نبحث أولا عن التأثيرات الخارجية التى على حسبها

يتجدد العمل النفسي كل لحظة — ثم عن التجهيزات الكثيرة والاعمال المختلفة الداخلية المرتبطة بتلك التأثيرات — ثم عن النتائج التي تحدث من التأثيرات والتجهيزات — وبعد توضيح هذه العناصر الجزئية ينبغي أن نبحث عن حقيقة النفس التي هي موضوع هذا العالم

﴿ المجموعة العصبية ﴾

ان علمي النفس والتشريح يدلان على ان جميع اجزاء الجسم ليست مرتبطة بالنفس بدرجة واحدة بل من الاجزاء ما يرتبط مباشرة بها كالاعصاب التي تمر بجميع اعضاء الجسم بصفة خيوط بيضاء مشتملة على أوعية لا تحصى ومجتمعة مع بعضها في الاعضاء المركزية بالمخ — ومنها ما يرتبط بها بواسطة الاعصاب وهو جميع أجزاء الجسم سواها

﴿ تقسيم الاعصاب الى نوعين ﴾

وتنقسم الاعصاب الى نوعين أعصاب حساسة وأخرى محركة موصلة. والغرض من الاولى ايصال التأثيرات الخارجية الى المخ — ومن الثانية ايصال الحركات الى الاعضاء

— ومن مجموع النوعين تتكوّن المجموعة العصبية التى لا يحصل التأثير التبادلى بين النفس والجسم الا بها

وقد حاول بعضهم حصر بعض أعمال النفس فى أجزاء مخصوصة من هذه المجموعة العصبية خصوصاً أعصاب المخ ودوّن لذلك نظرية سميت نظرية المحلية غير ان هذه النظرية لم تؤد الى نتائج مسلمة ، ولئن سلم جعل الاعضاء المركزية الاصلية للغة والتكلم فى تدويرة الجهة الثالثة من نصف دائرة المخ اليسرى الا انه لم يمكن حتى الآن تعيين مواضع مخصوصة لاعمال المخ العالية مثل الافكار والاحساسات والعزم وكذا لم يحصل اتفاق بين العلماء على أن لبعض الحواس ولظواهرها أماكن مخصوصة فى أجزاء معينة من المخ

﴿ أهمية علم النفس لجميع العلوم لا سيما لعلم صناعة التربية والتعليم ﴾

ثم ان الذى يشتمل عليه علم النفس من النظريات الكثيرة والقوانين المختلفة المبنية على مراقبة النفس والمستنتجة من ملاحظة أحوالها يعتبر كمفتاح تفتح به الابواب المغلقة

على الاحوال والحوادث التى تحصل فى العالم او كضوء يستعان به على فهم حقيقة تلك الاحوال لان كل ما شاهدته او سمعت به من أعمال الانسان سواء فى ذلك الصنائع العلمية او العلوم كعلم المنطق ، والحقوق ، والاقتصاد ، والتاريخ او الاعتقادات الدينية مبنى على ظواهر النفس الابتدائية — ومتى عرفت هذه الظواهر التى هى أصل تفرعت عنه تلك الاعمال لا ترى امام عينيك جميع هذه الفروع الا أمراً جلياً ولغزاً محلولا وقس على ذلك علم صناعة التعليم والتربية لان هذه الصناعة يلزمها ملاحظة الاحوال الجسمية والنفسية لتصل الى الغاية الرفيعة المقصودة منها التى لا تحقق ولا توجد الا اذا عرف الذى عهدت اليه تربية الولد ومساعدته أحوال النفس والجسم

ولا يتصف بهذه المعرفة ولا بمعرفة طرق تقدم الانسان وتهذيبه الا الذى يقتدى بعلم النفس ويجعله القائد الحقيق له فهو اذن الاصل الحقيق لنظريات التربية والتعليم — أما علم الاخلاق فانه وان بين الغاية النهائية والغرض الاخير من جميع أعمال النوع الانسانى الذى يجب على المربين والمعلمين ان يجعلوه دائما نصب أعينهم لكى يصلوا اليه الا ان علم النفس

مشترك معه فى ذلك أيضاً لان الاغراض والغايات التى يلزمنا الوصول اليها فى حياتنا ليست سوى أحوال معرفتنا التى تحدث اثناء تقدم الحياة النفسية الخاضعة لقوانين علم النفس فعلى هذا تبنى نظريات التربية والتعليم على علمى النفس والاخلاق ولكن أولهما أهمهما بالنسبة لهما

القسم الاول

(في التكلم على كل جزء من أجزاء العالم النفسى)

الباب الاول فى المعرفة وفيه فصلان

(الفصل الاول فى الشعور)

ان النفس لا تصل الى معرفة الاشياء الدنيوية الا بواسطة الشعور الذى ينبنى على أمرين — أولهما — التأثير الخارجىّ لانك لا تشعر بشىء مّا من حيث ذاته بل من حيث ارتباطه واتصاله بجسمك إما مباشرة كملامسة نفس الشىء للجسم وإما بواسطة العنصر الجوىّ المحيط بك فالصوت والضوء مثلا لا يصلان مباشرة الى الأذن والعين بل بواسطة

الهواء الذى يحملهما وينقلهما الى هاتين الحاستين — أما كيفية تأثر الحواس من المؤثرات الخارجية فمجمل القول فيها انه اذا طرأ التأثير الخارجى على طبقات الحواس الظاهرة أعنى بشرة الجسم احدث فيها تغيرات لا يهمنا فى هذا المقام معرفتها ولا البحث عنها وانما يلزمنا الجزم بأن هذه التغيرات متى حصلت صدق على الحواس انها تأثرت

وقد عرفت كيفية التأثر فى بعض الحواس كالعين واللسان وعضو اللمس وذلك انه قد استكشفت طبقات غريبة الشكل فى العين تحول الامواج الضوئية الطارئة عليها بطريقة كيماوية الى مادة مخصوصة تؤثر على اعصابها — وكذا وجدت مواد مخصوصة فى اللسان وفى بشرة عضو اللمس تكيف الطارئ عليهما بكيفية تحدث تأثيراً عليهما — ولا يعلم شئ يماثل ذلك فى الأذن ولكن يظهر قياساً على العين واللسان مثلا ان لكل وعاء من اوعية الاعصاب الأذنية استعداداً لاستقبال النغمات والامواج الهوائية — وعلى هذا لا يحصل التأثر بمجرد وقوع الامواج الضوئية أو الصوتية مثلا على البشرة بدون مساعدة اعمال أخرى كما كان يظن

سابقاً — وثانيهما — التهيج العصبي لانه لا ينشأ من مجرد حدوث هذه التغيرات شعور بل يلزم انتقالها الى أوعية الاعصاب الحساسة المنتشرة فى جميع الجسم وسيرها على اسلوب مخصوص حتى تنتهى الى الاوعية الاخيرة التي يحصل فيها تهيج يمر بجميع طرق الاعصاب حتى يصل الى المخ فينجم شعور النفس الذى هو عبارة عن الرؤية او السماع او اللمس أو الشم اوالذوق

﴿ كيفية حصول شعور النفس بعد حصول التأثير الخارجى والتهيج العصبى ﴾

قد قال بعضهم ان التهيج العصبي يحصل فى كل جزء من أجزاء العصب فيقوم به الشعور ثم ينتقل منه الى الجزء المجاور له حتى ينتهى الى النفس مثبتاً ذلك بانه قد شوهد انه اذا جرح العصب اثناء سير التهيج بطلت حركة السير وانتفى الشعور. ثم قال ان الشعور لا ينتقل من جزء من العصب الى غيره بمجرد الارتباط بين الاجزاء بل بواسطة أمر آخر وهو التأثير الطبيعى بحيث ان الجزء (ا) يحدث تأثيراً على الجزء (ب) بمقتضى ذلك

التأثير الطبيعى فيكتسب حالة مخصوصة (د) وهى الشعور . ثم اذا اكتسب الجزء (ب) تلك الحالة (د) أثر على الجزء (ت) فيكتسب نفس الحالة (د) وهلم جرا الى ان يؤثر جزء العصب الاخير (ى) على النفس لا بمقتضى التأثير الطبيعى بل لأمر غير معلوم فتتولد فى النفس تلك الحالة (د) كتولدها فى كل جزء من أجزاء العصب بعد ان يتأثر — هذا ما قاله ذلك البعض وكأنه يحاول بذلك توضيح كيفية حصول الشعور للنفس حيث رتب حدوثه فيها على قيامه بأجزاء العصب مع ان ذلك غير واضح لان تأثير اجزاء الاعصاب على بعضها أمر حقيقى ولكن قيام الشعور بها غير مسلم لكونه من خواص النفس فضلا عن ان قيامه بها لا يفيد فائدة اذ لا ارتباط بين شعور الاعصاب — إن سلم — وبين شعور النفس — واذن فالواجب ان نقول ان التهيج العصبى ليس الا من المقدمات الطبيعية والحركات الجسمية التى تنتقل من جزء الى غيره مع عدم اشتمال الاجزاء على شىء من خواص النفس كالشعور

ومع كوننا قد علمنا مما سبق ان الشعور يترتب على أمرين متعاقبين وهما التأثير الخارجى وتهيج العصب لا نتصور

الى الآن كيفية نشأته عنهما لاختلاف حقيقتيهما لاننا لو اجدنا تحليل الامواج الهوائية التى تحمل المؤثرات الخارجية كالضوء والصوت وتنقلهما الى العين والاذن لما وجدنا نسبة ولا ولا ارتباطاً بين أجزائها وبين صفة مضمون الشعور أو القوة الشاعرة وبناء على ذلك ليس فى الامكان أن نقف على معرفة السبب الحقيقى فى كون الامواج الحاملة للضوء تؤثر على العين الناظرة لا على الاذن السامعة ولا ندرى لاى شىء يشعر بها الانسان بصفة ضوء ولم يشعر بها بصفة سمع كما لا ندرى لماذا نشعر بكون بعض الامواج الضوئية أحمر اللون والبعض الآخر أزرقه أو أصفره ولم يحصل العكس فى الكل — ولو بحثنا عن حقيقة التهيج الذى يقوم باجزاء الاعصاب بحثاً دقيقاً لما وقفنا للبحث على نتيجة سوى ان كل جزء يؤثر على مجاوره بمقتضى النظام الطبيعي كما سبق ولما عثرنا أصلا على موضع مخصوص يتحول فيه التهيج الى شعور — ولهذا لا محيد عن أن نضرب صفحاً عن البحث عن أسباب تحول التهيج العصبى الذى هو خاصة طبيعية الى الشعور الذى هو خاصة نفسية وأن نكتفى بمعرفة ان الشعور يعقب التهيج لامر غير معقول

لنا وربما وصل فيما بعد الى معرفته علمنا

﴿ ارتباط قوة الشعور بقوة التأثير الخارجي ﴾

ان ارتباط الشعور قوة وضعفاً بقوة التأثير الخارجي وضعفه ليس مبنياً على قانون رياضي يمكننا بواسطته أن نحكم على ان الشعور بالنور (ا) الذي تزيد قوة استضاءته مرة ونصفاً مثلاً عن النور (ب) على حسب اختلاف قوة شمعتيهما يزيد مرة ونصفاً عن الشعور بالنور (ب) أو نحكم على ان هذا الشعور نصف ذلك أو ربعه بالتحقيق على حسب اختلاف التأثير وضعفه بل الذي يمكن الحكم به هو أن هذا الشعور أقوى من ذلك أو أقل منه فقط — وقد استنبط بعض المحققين قانوناً لذلك من المشاهدات وكثرة التجارب يلزم على حسبه أن تزيد قوة التأثير الخارجي زيادة واضحة رياضية اذا لزم ازدياد قوة الشعور على حسب نسبتها بمعنى انه اذا لزم إضافة رطل من ثقل على ٣ أرطال منه لكي تكون زيادة الثقل واضحة فيلزم أن يزاد على ٩ أرطال من نفس هذا الثقل ٣ أرطال منه أيضاً ليشعر الانسان بالثقل الزائد

أما اذا زيد رطل واحد على هذه الثلاثه فلا تؤدى الزيادة الى تقوية الشعور — فالشعور من الاشياء التى ترتفع قيمتها بغاية البطء كلما ازدادت قيمة سببها وهو المؤثر الخارجى — الا اننا لا ندرى ما السبب فى حصول هذه النسبة الغريبة وعدم ازدياد قوة الشعور حسب ازدياد المؤثر مع ان هذا أمر غير ظاهر لانه يقضى بوجود شىء غير معلوم يجعل قوة المؤثر الخارجى بطيئة الزيادة بعد أن يتحول الى تهيج عصبى — وقصارى القول انه لا بد من وجود عوارض تستدعى هذه الزيادة الغير القانونية وان كنا لا ندرى ما هو محل تلك العوارض أهو الجسم أم النفس

ما هى نتيجة اختلاف التأثيرات قوة وضعفا

ثم لا ندرى أيضاً ما هى نتيجة اختلاف التأثيرات قوة وضعفا أإحداث شعور واحد مختلف القوى أم إحداث انواع منه مختلفة الكيفية تمتاز عندنا حسب اختلاف كيفيتها والظاهر الثانى وأن كل شعور أمر قائم بنفسه ولا يظهر أن الشعور بتأثير قوى هو نفس الشعور بتأثير ضعيف غير انه

أقوى منه ولا ان ذوق مادة حامضة حموضة قوية هو نفس ذوق مادة أقل منها حموضة . ولا ان البرودة تعتبر حرارة ضعيفة لأن الامرين متباينان

﴿لزوم عدم نقص المؤثر الخارجى عن درجة مخصوصة اذا لزم حدوث شعور عنه﴾

ولكل مؤثر خارجى درجة معلومة بالنسبة للحواس لا يجوز نقصه عنها اذا لزم حصول شعور حتى اذا نقصت الدرجة عن الحد الاقل لا يوجد شعور أصلا لوجود مانع يمنع الحاسة من قبول التأثر به

وكذا لايحدث شعور فى حالتى السكون واستمرار التهيج العصبي على حالة واحدة لان هاتين الحالتين لا تعتبران الا حداً فاصلا بين حالتين متعاقبتين — ومن هذا يؤخذ ان الشعور الذى يدوم عند الانسان زمناً طويلا كرؤية الضوء وسماع الصوت يستند على تهيجات متعاقبة تتخللها حالة هدو وسكون لا أن الرؤية الطويلة مثلا مبنية على نفس ذلك التهيج الاصلى الذى هو السبب فى حدوثها بل توجد أحوال مختلفة

من تهيج وسكون حال حصولها

— وقد ثبتت صحة هذا الاستنتاج فى مثل الشعور بالضوء والصوت لان الشعور ولو بنغمة قصيرة مثلا يترتب على عدد كثير من التهيجات المختلفة التى تحدث فى حاسة السمع ولكنها لم تثبت فى باقي الحواس

ولا يلزم من ضرورة اختلاف التهيجات ليدوم الشعور بشئ ما مثل الرؤية أو سماع كلام الخطيب أو المعلم وجود أنواع من الشعور عقب كل تهيج لأننا لا نحس بشئ من التحرك والاختلاف فى مضمون الشعور (الحمرة والحرارة مثلا) كما لا نحس بعدد اختلاف ذلك التحرك من باب أولى

﴿ الشعور الشخصى ﴾

ويوجد نوع مخصوص من الشعور له حالة مخصوصة فى كل عصب من أعصاب الحواس يسمى الشعور الشخصى وهو لا يحدث بسبب تأثير خارجى بل يوجد بداخل الجسم ثم ينتقل غالباً الى الخارج كالبرودة والحرارة عند حصول حمى وقد وضعت لذلك نظرية تسمى نظرية قوة الاعصاب وهى

ان كل عصب من أعصاب الحواس يحدث نفس الشعور دائما مهما اختلفت صفة السبب المهيج للعصب فاذا حصل الهياج (ا) بسبب تأثير خارجي ونشأ عنه الشعور (ب) لزم ان يحصل نفس هذا الشعور (ب) اذا حصل نفس هذا الهياج (ا) بسبب تأثير داخلي

﴿ دوام الشعور ﴾

ان دوام الشعور مرتبط بدوام الهياج العصبي فمتى زالت جميع أعمال المؤثر الظاهرية والباطنية زال الشعور الذى ينجم عنها أيضاً (انظر ص ٢٧) ولكن لا يزول التهيج العصبي وحده بل بواسطة تأثير آخر مضاد للتأثير الذى احدثه ومتى كان الشعور قوياً جداً تصير الحاسة غير قابلة للتأثر من مؤثرات أخرى

﴿ هل لأنواع الشعور تحقق فى الخارج — تقسيم الشعور الى بسيط ومركب ﴾

وجميع أنواع الشعور بسيطة كانت كالشعور باللون البسيط والنغمة الواحدة أو مركبة كالشعور بقوس قزح

المركب من عدة ألوان ترى جميعها فى آن واحد قائمة بالاشخاص فقط فلا تتحقق الا فى الافكار ولا يوجد لها أثر فى العالم الخارجى هكذا ثبت فى العصر القديم (عصر اليونانيين والرومانيين) وجرى على هذا النهج علم الطبيعة الجديد حيث ذكر فيه ان العالم الخارجى لا يوصف بالتحرك والسكون ولا بالظلمة والاستضاءة ولا تصح المشابهة بين أجزائه كما لا تصح المقارنة بين الحلاوة والخيط مثلا لعدم وجود علاقة بينهما أصلا — ونحا علم التشريح نحو ذلك حيث أوضح ان أنواع الشعور ليست الا أحوالا لنا ولا نعلم شيئاً عن الذى يحصل للعصب حين الرؤية مثلا كما لا ندرى الحالة التى تتصف بها النفس قبل حصول الشعور

— فالشعور اذن من الاحوال التى تقوم بالانسان ولا يوجد له مثال ولا صورة فى الخارج غير ان البراهين التى أثبتوا بها ما تقدم لا تزال قابلة للتنقيح ولهذا يجوز اعتقاد كون الاشياء الخارجية حمراء أو حلوة مثلا حقيقة غير ان الاوصاف لا تعلم لنا إلا إذا أوجدت موصوفاتها حركات تحدث فى نفوسنا الشعور بالحمرة والحلاوة اللذين هما وصفان لها وان كانت

نفس الحركات لا توصف بشئ من ذلك — والدليل على كون الاوصاف لا تعلم الا بالقيد السالف ولا تدرك بمجرد قيامها بموصوفاتها ان المواد التى يتكون منها الضوء لا يمكن علمها لعدم رؤيتها وكذا لا يتأتى العلم بالاجزاء التى يتركب منها الصوت لانها لا تسمع كما لا يمكن من لم يذق ألم الاسنان مثلا معرفته

﴿ أهمية الحواس بالنسبة للمعلوت النفسية وبيان الواجب على المربين والمعلمين ﴾

ثم ان للحواس أهمية عظيمة بالنسبة للمعلومات النفسية لان الشعور الذى هو الاصل لجميع المعارف يحصل بواسطتها كما تقدم — فالواجب اذن على المربين والمعلمين أن يبنوا تربيتهم وتعليمهم على هذا الاصل الثابت بحيث تحس الاشياء التى تطلب معرفتها من الطفل اما حقيقة أو صورة كأن يرسم له على الورق أو السبورة ما لا تتأتى مشاهدته حقيقة

— وعليهم أن لا يكثروا من المؤثرات الخارجية دفعة واحدة لان التجارب قد أثبتت ان الحواس لا تنمو قوتها ولا

يتقدم شأنها مرة واحدة — ويلزمهم أن يجعلوا أوقاتا مخصوصة فسيحة الاجل لكل طبقة من طبقات التعليم لكى يتسنى للحواس أن تدرك فيها الشيء على ما هو عليه حتى اذا خالفوا ذلك وأكثروا من ايراد الاشياء المختلفة على الطفل قبل أن ينعم نظره فيها لا يفيدونه بهذه الطريقة بل يضعفون حاسته وقواه ويجعلونها تمل من اداء الواجب عليها

وليعلم أن الحواس تنقسم الى قسمين حواس عالية وهى حاستا البصر والسمع وحواس منحطة وهى حواس الشم واللمس والذوق وتجب خدمة الجميع ومراعاتها وعدم اهمال شأنها وتربيتها تربية مناسبة وخصوصاً العالية منها

— واذا أردت ايضاح تربية الحواس الصحية والادبية مع التفصيل الشافى فعليك بكتب التربية تجد مايسرك

الفصل الثانى

﴿ فى التصور وسيره والتخيل والتذكر والتعقل ﴾

قد ذكرنا فيما سلف (ص ٢٤) ان الشعور يزول بزوال

المؤثر الخارجى ومعنى ذلك انه يحجب فى النفس اذا طرأت عليها أنواع أخرى من الشعور مضادة له ويتحول الى حالة غير معروفة وحينئذ يسمى شعوراً غير معروف أو شعوراً ناقصاً أو تصوراً فان رجع الى النفس ثانياً سمى صورة متذكرة وبذا يظهر الفرق بين التصور والشعور

وهناك فرق آخر لغوىّ اذ يقال تصوّر الغائب لا شعر به وشعر بالحاضر لا تصوّره وواضح أيضاً ان تصوّر الضوء اللامع لا يضيء حقيقة وتصور المرض المؤلم لا يؤلم بخلاف ذلك فى الشعور

﴿ الفرق بين التصور والتعقل ﴾

ويظهر لك الفرق جلياً بين التصور والتعقل فى هذا المثال وهو انه اذا عرف شخص آخر بواسطة اجتماع أنواع من الشعور كرؤية قامته ولونه وشكله وسماع صوته وهلم جرا ثم تجددت عنده نفس هذه الانواع ثانياً فالحاصل لديه من أنواع الشعور الاولى بعد حجبها وقبل رجوعها يسمى تصوراً (انظر فوق) ومن أنواع الشعور الاخرى المتجددة يسمي تعقلا

﴿ الفرق بين الشعور والتعقل ﴾

أما الفرق بين الشعور والتعقل فيتضح فى الاحوال التى يوجد معها استعداد للشعور دون التعقل وذلك كما اذا شعر شخص بكلمة بواسطة سماعها أو رؤية حروفها مكتوبة مع عدم معرفة معناها لعدم استعداده لاحداث التصورات المتعلقة بذلك .

﴿ تقسيم التعقل الى بسيط ومركب ﴾

وينقسم التعقل الى بسيط ومركب حسب ارتباطه بشعور بسيط أو مركب (ص ٢٤) فالبسيط كما اذا عرفت ان هذا اللون البسيط الذى تراه الآن هو عين الذى رأيته سابقاً . والمركب كما اذا عرفت ان الشخص الذى تسمعه وتراه الآن نفس الذى سمعته ورأيته سالفاً .

﴿ تقسيم التصور الى مستقل وغيره ﴾

وينقسم التصور الى مستقل وغيره . فالاول هو الذى يحدث فى النفس بدون أن يترتب على شعور . والثانى هو

الذى يأتى اليها بواسطته

أما الثانى فواضح . وأما الأول فيصير بديهياً لديك اذا روّضت نفسك فى مزرعة فأنت تشعر أول بدء بالجهات التى أنت فيها . ومن مشابهة الجهات المرئية لجهات أخرى وقع نظرك عليها من قبل يحدث عندك تذكر الحوادث التى حصلت فى تلك الجهات وتصور الاشياء التى شوهدت فيها . وكلما زاد تفكرك فى تلك الحوادث الماضية تضعف عندك أنواع الشعور الظاهرية ضعفاً عظيماً حتى لا يكون لديك شاغل اصلا سوى الحركة الباطنية النفسية والاعمال الفكرية . وربما انك لا تلفت الى الطريق الذى تسير فيه وتستمر هذه الحالة قائمة بك حتى تعترض طريق تفكرك وتصوّرك أحوال أخرى ظاهرة تعوق بينك وبين العمل النفسىّ المطلق — وبعض الناس ترجح عنده حالة الاشتغال بالظواهر الخارجية ويخضع لحكم المؤثرات الدنيوية فتكثر عنده أنواع الشعور بدرجة قوية — والبعض الآخر يقوى عنده التخيل المطلق ويقضى جل وقته فى عالم التصور والتخيل أو الاشتغال بالعلوم النفسية ولذلك ترى أن الناس متفاوتون فى

الاستعداد فمنهم من هو ذو استعداد للتصوير أو الاشتغال بالموسيقى . ومنهم من عنده استعداد للتصور المطلق والعلوم الفلسفية . ولكن اذا اشتغل المرء بأحد الامرين وجعل الثانى فى زوايا الاهمال كان هذا من آيات ضعف العالم النفسى وتوصف النفس لذلك بمرض الاختصاص ببعض الاشياء فمن هذا يعلم ان للنفس حالتين تزاحمان بعضهما وتريد كل واحدة منهما أن يكون لها المركز الاول فيها

﴿ سير التصور وما يحتوى عليه ﴾

ويحتوى سير التصور على أمرين أولهما كيفية نشأته فى النفس وثانيهما كيفية فقده منها . ويقال بالاختصار ان حدوثه وفقده مرتبطان بوجود الشعور وزواله ولكن قد يحدث أيضاً بدون الشعور . وذلك فى حال التفكر المطلق (ص ٣٠) وهناك أمر ثالث يحتوى عليه سير التصور وهو كيفية رجوعه بعد غيبوبته . والذى يقال فى ذلك هو ان التصور لايفقد من النفس أصلا كالشعور بل يقوم بها حين غيبوبته بصفة أمر غير معلوم لانه لايحدث ألبتة

تصوّر جديد عند التفكر المطلق . وانما هى ارتباطات جديدة فقط لأنواع التصور القديمة تحصل بمساعدة القوة المتصورة بدون توسط المؤثرات الخارجية

﴿ تقسيم ارتباط التصورات ببعضها ﴾

ثم ارتباط أنواع التصور على نوعين — ارتباط نسبة — وارتباط ملاصقة — فالاول كون التصور مرتبطاً بتصور آخر على انه سبب له أو ضد أو كل أو نحو ذلك — والثانى ارتباطه به على أن أحدهما زمان أو مكان للآخر . وذلك كما اذا تصوّرت حادثة حصلت يوم ميلاد شخص فانك بذلك تتصور أيضاً يوم ميلاده . وكما اذا تصورت شخصاً مخصوصاً وقد شاهدته فى محل معلوم فأنت بذلك تتصور أيضاً ذلك المحل — فالاشياء التى شوهدت غالباً مع بعضها تسعى فى أن ترتبط ببعضها فى التصور أيضاً — والارتباط إما أن يكون بنوع غير فكرى ككثرة تكرر التصورات المبنية على بعضها التى التزم فى الحصول عليها طريقة واحدة كحفظ قطعة نظمية أو نثرية ولهذا لا يتأتى للانسان ان يقرأ المحفوظ معكوساً واما

أن يكون بنوع عقلي كتصور شيء ما بمساعدة الارتباط الفكري كالمقدمة الكبرى في القضية الحلية وبجملة من الجمل الهندسية المرتبطة ببعضها

و نتيجة تكرر ارتباط انواع التصور ببعضها :

وبواسطة تكرر ارتباط التصورات المتناسبة ببعضها يتوصل الى تصور أمر كلي فيتوصل الى تصور تفاحة مثلا بواسطة تكرر الشعور بجميع خواصها كتكرر الشعور بلونها ورائحتها وطعمها ومسها حتى اذا عرض تصور اللون مثلا وحده جر الى ارجاع باقي التصورات المتعلقة به

سبب غيبوبة التصور :

وقد اختلفت الآراء في سبب غيبوبة التصور (ص ٣٦) فمن قائل انها أمر طبيعي لا يحتاج الى توضيح ولا الى بيان سبب . ومن قائل بضرورة التوضيح لان الشيء اذا تغير عن حالته الاصلية يحتاج الى سبب والسبب هنا مزاحمة بعض المعلومات للبعض الآخر ليحل محله لان النفس التي هي محل لذلك ضيقة الدائرة محدودة المساحة لا تسع الا عدداً مخصوصاً

من المعلومات والتصورات

﴿مزاحمة بعض التصورات البعض الآخر وسبب سرعة نسيان اعداد السنين التاريخية﴾

ويلزم أن تكون التصورات المزاحمة (بكسر الحاء) قوية حتى يتأتى لها مزاحمة غيرها . وقوتها — إما — أن تكون بواسطة تشعب ارتباطها بغيرها وكثرة جهات تعلقها بتصورات أخرى اذ بذلك تكثر الواسطة فى بقائها وتتوفر أسباب تولدها بسرعة اذا غابت بخلاف ما اذا كانت جهة الارتباط واحدة فقط فان التصور تطرأ عليه سرعة النسيان وهذا هو السبب فى سرعة نسيان اعداد السنين التاريخية أكثر من نسيان نظرية هندسية مثلا . وإما . أن تكون بواسطة الميل . أو . بواسطة الاهتمام بالشىء المتصور الذى يساعد على تثبيت الاشياء فى القوة المذكرة ويمنع سرعة تطرق النسيان اليها . ولتفاوت درجاته بين الاشخاص اختلفت وجهة التذكر عندهم فمنهم من يكثر تذكره للكلمات أو الاعداد أو المواضع ومنهم من تقوى درجة تذكره لبعض الفنون العلمية دون البعض

الآخر أو بواسطة الانتباه

﴿ الانتباه وأنواعه وما يجب على المعلم أن يفعله بخصوصه ﴾

الانتباه استعداد مخصوص به يتصور الانسان شيئاً أو جملة أشياء مع الوضوح التام وهو نوعان انتباه قهرى وهو يحصل بواسطة تأثير خارجى يطرأ بغتة فيستلفت الانسان الى شىء ثم تتجه حواسه اليه كظهور الضوء والرائحة بغتة . وانتباه اختيارى وهو يوجد عند الانسان تارة بواسطة الاهتمام بالشئ وتوجه ارادته له فتنصرف بذلك قوة نفسه الى تصور أو جملة تصورات وآونة بواسطة قوة الارتباط بين التصورات التى اذا زالت فقد الانتباه وحل محله ضده وهو تشتت الفكر

فالواجب على المعلم الماهر أن يحيي دائما روح الانتباه عند الطالب أو الطلبة الذين أمامه بأن ينظر أولا الى حالتهم ويتفقد درجة استعدادهم ثم يلقى اليهم ما يناسب قواهم وينتقل بهم من الجزئيات الى الكليات ومن أجزاء الجملة الى مجموعها ومن الخصوصى الى العمومى ومن الاصول الى الفروع ومن المقدمات الى النتائج ومن المعلوم الى المجهول ومن السهل الى

الصعب ومن الصعب الى الاصعب ليكون تصورهم واضحا ودرجة تعقلهم قوية وبذلك يدركون حقائق الاشياء ويقفون على حقيقة المباحث وتتمثل جميع التصورات بمضمونها فيميلون الى الموضوع ويهتمون به ويلتفتون اليه ومن هنا تعلم الالتفات وعوامل الانتباه المحافظة على نظام الطلبة وانضباطهم ومنع فتور قواهم والانتقال بهم دائما من موضوع الى آخر ومن مبحث علمي الى حكاية فكاهية والاكثار من أسئلتهم

والحمد لله وحده

سبب تشتت الفكر

وكثيراً ما تشاهد الطلبة أثناء الدرس معتدلين في مجالسهم ومنتظمين في مقاعدهم وشاخصين الى معلمهم حتى يخيل له انهم صاغون الى جميع ما يلقيه اليهم ومنتبهون الى جميع ما يصدر عنه ولكن اذا سئل أحدهم عن أمر على حين غفلة يكون كالمبهوت أو النائم لا يبدي حراكا لأنه لا وجود له مع الحاضرين الا بشبحه وجسمه لا بفكره وتصوره حتى لو أجاب لكانت اجابته غير ملائمة للسؤال ولا مطابقة للموضوع

والسبب فى ذلك — إما — إطالة المباحث العلمية وعدم الخروج بهم الى موضوع آخر فكاهى أو غيره وإما خفاء المراد من الموضوع الذى يلقى اليهم هذا

﴿ تقسيم التصور الغير المستقل ﴾

وينقسم التصور الغير المستقل (ص ٢٩) الى تصور مركب وهو الذى ينبنى على أنواع مختلفة من الشعور وتصور بسيط وهو الذى ينبنى على شعور بسيط مثل الشعور باللون فقط

﴿ تصور الجزئى ﴾

ومن هذا النوع يتكوّن تصور الاشياء والاشخاص فانه عبارة عن تصور أمر جزئى ذى خواص وصفات وأجزاء لكل منها تصور بسيط مخصوص ويدخل تحت ما صدقات تصور الامر الجزئى تصور الشئ الذى يصدق عليه شئ حتى عند عدم مراعاة تصور خواصه وصفاته

ولا تقف النفس التي تجتهد دائما فى البحث عن وحدة الاشياء عند ادراك جملة متفرقة لا جامع لها من تصورات

الاشياء أو الاشخاص بل تحاول دائماً جعل جميع الافراد داخلة تحت أمر كلي يجمعها لانه لا يبقى فيها من التصورات المتماثلة التي ترد عليها كتصور زيد وبكر سوى تصور صورة كلية تشتمل على خواص مشتركه ويسمى هذا التصور تصور الكليات وذلك كتصور الانسان المشتمل على جميع افراد هذا النوع بلا فرق بين الامم المختلفة والقبائل الكثيرة

ولا يمكن ان تتميز تصورات الكليات عن بعضها كما لا يتأتى ان تتضح وضوحا تاما اذا لم تكن لها علامات مخصوصة قد تكفلت بوضعها اللغات حيث وضعت لكل أمر كلي كلمة مخصوصة تدل عليه . أما الجزئيات فلم تضع لها اللغات كلمات مخصوصة الا حيث يكون لهذه الجزئيات قيمة مخصوصة كافراد النوع الانساني فان كل فرد منها قد وضعت له كلمة مخصوصة لا يشاركه فيها غيره تسمى بالعلم أما مثل كلمة بيت وقلم فلا تفيد الا تصوراً كليا لا ينطبق على بيت مخصوص ولا قلم كذلك الا بواسطة اسم الاشارة واذا ارتبطت التصورات بعضها تكوّن الحكم الذي يعبر عنه بواسطة الجملة . فاذا ارتبط بالحكم حكم آخر أو أحكام أخرى نشأ عن المجموع صورة رفيعة

الدرجة تسمى النتيجة والفكر الحقيقى

﴿ الفرق بين الفكر ومطلق ارتباط التصورات بعضها ﴾

والفرق بين الفكر ومطلق ارتباطات التصورات بعضها ان الذى يحصل فى الثانى بدون اختيار وارادة (ص ٣٠) يجرى فى الاول بواسطتها مع الوضوح التام لأن به تعرف حقيقة العالم الطبيعى والنفسى وتدرك كيفية ارتباطها بعضهما وبواسطته توجد تصورات بسيطة وأخرى مرتبطة بعضها توافق الحقيقة ولا تخالفها فى شىء — ويلزم لذلك ان تتجه قوة النفس الفعالة التى لها تعلق بذلك الى وجهة مخصوصة بمساعدة الانتباه (ص ٣٥) وان تسير على مقتضى قوانين معلومة

﴿ الادراك ﴾

ويتكوّن الادراك بالاكتفاء بالخواص المشتركة المطردة فى جميع الافراد وعدم مراعاة الخواص الغير المطردة ويختص البحث الدقيق عن الارتباطات التى تشتمل على ادراكات مخصوصة وأحكام ونتائج صحيحة بعلم المنطق

﴿ تصور الدنيا وتصور الامرين المهمين فى العالم الدنيوى ﴾

هذا وقد علمنا مما سلف أن الشعور يتحول الى تصور (ص ٢٨) والى تصورات متعلقة بعضها (ص ٣٢) ثم الى فكر (ص ٣٨) الا اننا لم نوف بذلك ما يلزم من توضيح جميع ما هو قائم بتصورنا فاننا نجد فى عالم التصور زيادة عن أنواع الشعور البسيطة والتصورات والادراكات والاحكام والنتائج تصوراً عاما وهو تصور الدنيا الذى تنتظم فى سلكه جميع التصورات ولا ندرى على أى وجه وبأى كيفية قد نشأ هذا التصور الجامع — ولاجل معرفة ذلك يكفى أن نتكلم عن تصور أمرين مهمين فى العالم الدنيوى وهما الوقت والمكان الضروريان لادراكه اللذان يمكن ترتيب مواد تجاربنا ومشاهداتنا بواسطتهما والسببية والمسببية اللذان بهما قد ارتبط العالم بعضه ارتباطاً تاما فنقول

﴿ تصور الوقت ﴾

ان الانسان لا يتصور الوقت الا اذا فكر أن الذى قد حصل فيما مضى قد طرأ عليه الزوال الآن وتخيل التغير الطارئ

عليه لانه يمكنه أن يتصور اللحظة الفاصلة للاوقات المختلفة بهذه الكيفية ولهذا يغيب عنه تصور الوقت ويزول من قوة تصوره شيئاً فشيئاً متى انحصر فكره فى أمر واحد ولم يطرأ على ذلك الفكر تغير

﴿ مرجع الحكم على الوقت بالطول والقصر ﴾

واذا حكم على الوقت بكونه طويلا أو قصيراً فمرجع ذلك الاهتمام بشىء وعدم الاهتمام به مع مراعاة حال الشخص الداخلية من رغبة فى الشىء وعدمها فمتى كان الانسان مهتما بأمر وراغباً فيه تخيل ان الوقت يمر مر السحاب بخلاف ما اذا كان الانسان فارغ الهمة ضعيف العزيمة غير راغب فى الشىء الذى يقضى لأجله الزمن فانه يتخيل طول الوقت الى حد تمله النفوس فبناء على ذلك يكون الحكم على الوقت بالطول والقصر ليس حكما عليه من حيث هو وقت بل يختلف حسب اختلاف حال الشخص الحاكم . وواضح ان ذلك حكم غير قطعى اذ الزمن لا تفاوت فيه أصلا ولهذا قد وضعوا لتقدير الوقت مقياساً لا يختلف حسب اختلاف حال الشخص الحاكم بل

يتعلق بنفس الوقت المراد تقديره ولا يختلف مهما تغيرت أحوال المقدر حيث اعتبروا الدورة الطبيعية المعتدلة الغير المختلفة كدورة الشمس والقمر والساعة مقياساً لذلك هذا

﴿ تصور المكان وما يستدعيه هذا التصور ﴾

أما من جهة المكان فنقول ان تصور أى مكان كبناء يستدعى تصور بعده عن الانسان وكذا تصور ابعاده الثلاثة التى هى الطول والعرض والارتفاع أو العمق . أما تصور البعد فيحصل من تصور خط ممتد من البناء مثلا الى المحل الذى يوجد فيه الشخص الذى يريد معرفة البعد غير انه لا يحصل من ذلك تصور بعد مخصوص لا تفاوت فيه بل يختلف حسب اختلاف حالتى حجم البناء الظاهرية والحقيقية لانه كلما كان البناء أو الشىء المرئى أصغر بالنسبة لحجمه الحقيقى يحكم على البعد بحسكونه أطول وكلما قرب مقدار الحجم الظاهرى من مقدار الحجم الحقيقى يحكم على البعد بكونه أقصر

ويمكن علم الحجم الحقيقى لأى شىء بواسطة وقوف

الشخص بجوار الشيء الذى عرف حجمه التقريبى . وكذا يمكن معرفة البعد الحقيقى بواسطة تقسيمه الى أقسام تمكن معرفتها بمساعدة علامات توضع فى الوسط ولا يتأتى تصور بعد أى شيء بالتحقيق بدون ذلك ولهذا يعسر تقدير البعد على سطح البحر أو على سطح مستو لا ارتفاع فيه ولا انخفاض . ويمكن على وجه العموم تصور مقدار أحد الاشياء الثلاثة وهى البعد والحجم الحقيقى والظاهرى بواسطة اثنين منها

﴿ تصور ابعاد الجسم الثلاثة مع بعضها ﴾

أما ابعاد الجسم الثلاثة فلا يمكن أن تتصور مع بعضها بمعونة النظر فقط لانك لا ترى من الجسم الا سطحاً يماثل صورة شيء مرسومة على ورقة تمثل الجسم الذى له ابعاد ثلاثة بواسطة بعدين منها وهما الطول والعرض . ولذلك يلزم لتصور الجسم كله أن يضم الى الشعور بالبصر الشعور باللمس والتحرك بحيث يتحرك الانسان حول هذه الصور ا ب ت من جهة اليمين الى اليسار ماساً للجسم فحينئذ تفقد الصورة

ا وتستعاض من جهة اليمين بالصورة ث وتتعاقب هذه الصور ب ت ث ، ت ث ج ، ث ج ح .... ، هـ و ى ، و ى ا ، ى ا ب ، ا ب ت .[1] وحاسة المس التى تبين عدم تداخل الاجسام تكمل ما نقص من تصور المجموع عند الدوران مع الوضوح التام وتدل على أن السطوح الأخرى للشىء مثل السطح المرئى منه

مبحث كون النفس التى ليست بمكان تدرك الصور المكانية وما قاله المحقق لوتسه فى ذلك

ولكن يشكل علينا كون النفس التى ليست بمحل تدرك الصور المكانية لانها تتصور البيت الذى له ابعاد وتتصور ان هذه المدينة موضوعة فى جهة كذا واننا انفسنا حالون فى جهة مخصوصة مع ان التصور نفسه عديم الابعاد . وقد أجاب

(١) ويمكننا ان نستنتج من رجوع الصور الاولى (أولا) ان الاشياء المرئية توجد فى امتداد محدود البداية والنهاية (وثانياً) ان التغير الذى شعرنا به أثناء الدوران بواسطة تغير موضع الوجه ينسب الى تغير أحوالنا أعني الى تحركنا حول تلك الاشياء

عن ذلك الفيلسوف لوتسه حيث قال « ان التأثيرات الخارجية تحدث تأثيرات أخرى منها متكيفة بكيفية مخصوصة وعارية عن وصف الخاصية تجتمع مع بعضها فى النفس التى ليست بمحل وتكون التأثيرات الثانية عوضاً عن التأثيرات الاولى بالنسبة لها ولا يلزم من ذلك حدوث تأثيرات أخرى جديدة مخالفة التأثيرات الاولى بل الذى يلزم حدوث تصورها فقط »

ثم اعتقاد كون الاشياء مرتبطة بعضها ارتباط الاسباب بالمسببات يساعد بانضمامه لتصور الوقت والمكان على تصور العالم الدنيوى وادراكه (راجع ما قاله المحقق الشهير كنت فى شأن التعقل أيضاً)

ويبحث علم ما وراء الطبيعة عن صحة هذا الادراك أما علم النفس فليس عليه الا أن يبين ان للنفس خاصة وهى ربطها التصورات على حسب قانون السببية والمسببية

﴿ أنواع التذكر ﴾

ان للتذكر أنواعاً كثيرة . منها معرفة الشئ ثانياً كما اذا عرفت ان هذا البيت الذى تشاهده الآن عين الذى

شاهدته فيما مضى من الازمان . ومنها تذكر أى شيء عند سماع أو رؤية شيء آخر كتذكر دخول المكتب أو الخروج منه أو النداء عند سماع صلصلة ناقوس المدرسة . وكتذكرك من اهداك شيئاً عند رؤيتك ذلك الشيء . ومنها تذكر ماحصل فى سالف الزمان كتذكر شخص المدن التى شاهدها والجبال التى نظرها والاراضى التى متع نظره برؤيتها حين سفره وكتذكر الامور المحزنة أوالمفرحة (١) وجميع افراد هذا النوع تحصل عند الانسان حين خلو باله وافتكاره فى شأن الحوادث القديمة التى وردت عليه حال حياته

---

(١) ولتوضيح هذه الانواع يقال ﴿ فى الاول ﴾ ان معرفة البيت ثانياً بالرؤية تحيي صورته التى نظرت قبل ثم ان الرؤية والتصور يختلطان بعضهما اختلاطاً تاماً فى النفس حتى يصيرا كانهما مضمون واحد لها مع تحققها ان الرؤية قد حصلت الآن أما التصور فانه يخص الوقت الماضي ﴿ وفى الثاني ﴾ ان التصورات اذا ارتبطت ببعضها يمكن ان يتجدد هذا التصور أو ذاك بواسطة الارتباط ﴿ وفى الثالث ﴾ ان الصور القديمة تظهر فى النفس فجأة بدون سبب خارجى ولذا تسمى بالصور النامية أو المستيقظة وحدها

﴿ ما الذى يحصل أولا عند الرضيع من أنواع التذكر ﴾

والذى يحدث أولا عند الرضيع من أنواع التذكر هو النوع الاول وهو معرفة الشىء ثانياً اذ أنه بعد ان يمضى عليه نصف سنة تقريباً يرمى بنظره دائماً نحو حركات والدته وسكناتها وتبدو منه علامات تدل على انه يميزأمه عن غيرها فانك اذا شاهدته وقد أخذته امرأة أخرى لا ترى منه الا استغراباً وبكاء ونحيباً ولا يهدأ باله وينقطع بكاؤه إلا اذا أعطى لوالدته حيث يعرفها ثانياً . فاذا تقدمت حالة الطفل نطقا وتكلما ترى انه يسمى ثانيا الاشياء التى عرفها اذا رآها بنوع فرح ونشاط حيث يقول هذا قلم — هذه محبرة — هذه هرة — هذا طائر يطير — وهلم جرّا

﴿ صور التخيل ﴾

ان أعمال النفس بالنسبة لنوع التذكر الثالث وان كانت فى مبدأ أمرها بسيطة الا انها تكثر شيئاً فشيئاً لان النفس يلزمها أن تربط الصور المتذكرة التى تعود اليها بعضها لتكيفها بكيفية مخصوصة وتحدث صوراً جديدة من الصور القديمة

وهكذا ويسمى كل من التكييف واحداث الصور الجديدة صور التخيل وعددها كثير كما سيأتى (ص ٤٩) وهى مهمة جداً بالنسبة لارتقاء العالم النفسى

٣ الفرق بين الصور المتذكرة وصور التخيل ٣

والفرق بين الصور المتذكرة وصور التخيل ان الاولى تسلك سبيل الشعور وتتخذ جميع أحوالها أحوالا ما مع مطابقة مضمونها لمضمونه أما الثانية فتتخذ نظاما جديداً وترتيباً آخر وتغير مضمون التصورات ويلزم لذلك أن تشتمل قوة التخيل على صور كثيرة من قوة التذكر تشتمل على العناصر الابتدائية الضرورية لصور التخيل فلا يتأتى لقوة التخيل أن تعمل عملا ما اذا لم تكن لديها ذخيرة عظيمة ومادة واسعة من صور التذكر

٤ التخيل المحلى والوقتى ٤

ولقوة التخيل عملان أولهما ايجادها فى النفس المواد الابتدائية التى تحتوى عليها الصور المكانية . وثانيهما نقلها التذكرات الى الاوقات الماضية البعيدة والقريبة وايجادها

صور المستقبل التى تمثل بها الحوادث المنتظرة وحينئذ يكون التخيل على نوعين تخيل محلى [1] وتخيل وقتى

(١) لهذا التخيل أحوال كثيرة — منها — احضاره الذى شوهد سابقاً مستجمعاً خواصه وصفاته المحلية بصفة صورة كلية — وبيان ذلك انك اذا طلبت من التلميذ ان يصف شخصاً أو فرساً شاهدهما سابقاً فحينئذ هو محتاج الى أن يوضح لك جميع الصورة المطلوبة مع ان الذى يبقى ثابتاً لديه بعد مفارقة الشىء وغيبوبته بعض أجزائه مثل الرأس والعينين والاذنين والشعر واللون والهيئة . ولكن التخيل المحلى يساعده كثيراً بواسطة احضاره الذى شوهد مستجمعاً الخواص المحلية بصفة صورة كلية — ومنها — نقله الانسان الى الاماكن والاشخاص التى لم تشاهد عند الاحتياج الى تصورها كنقله تلامذة هذا العصر الى بلاد مصر مثلا حين كانت محكومة بالفراعنة أو الى جبال وبحار وصحارى لم تشاهد لانهم اذا أرادوا تخيل أحوال مصر فى ذلك الزمن فلا شك انهم يخلون فكرهم من جميع أحوال مصر الحاضرة من طرق منظمة وقصور شاهقة وبساتين نضرة وينتقلون بخيالهم الى اماكنة تلك الاحوال المراد علمها — ومنها — تجزئة الصور المحلية من جهة وربطه تصور الاجزاء بتصور الكل من جهة أخرى لان بواسطته يجزأ البيت مثلا الى أساس وحجر وصرحة وسطح كما تجزأ صورة النبات أو الحيوان أو الشكل الهندسي الى أجزاء بدون أن تفقد الصورة الكلية . ومنها =

أهمية التخيل المحلى والوقتى [1] لصناعة التعليم

(وبيان الواجب تقديمه عند تعليم الاطفال)

قد صار بديهياً ضرورة جعل التعليم الحسى أول مراتب التعليم لأن مبادئ تفدم النفس وكذا ارتقاءها لا يتحققان الا بالاطلاع على الاشياء ورؤيتها بالبصر . فينبغى ان تقدم فى تعليم الاطفال الحيوانات والنباتات والآلات التى يلعبون بها وجميع الاشياء التى شاهدوها أو أبصروا صورها المرسومة فى بطون الاوراق . وينبغى أن يبدأ بتعليم اللون ثم الاجزاء

= ايجاده من التصورات المعروفة المحلية تصورات جديدة وصورا غير معهودة لان التلميذ يمكنه ان يخيل فرساً له رأس آدمى أو أجنحة والى هذه الحالة تنسب جميع الاشياء العارية عن الحقيقة والامور المستحيلة والتصورات الدينيه عند الفراعنة والجاهلية والمجوس وعباد النار

(١) لهذا التخيل أحوال كثيرة أيضاً — منها — نقله الانسان من الوقت الحاضر الى الماضى والمستقبل — ومنها — مساعدته على معرفة الفرق بين طول الايام والساعة والدقائق والدوام وعدم الدوام كما يساعد التخيل المحلى على معرفة الفرق بين مقدار مكانين

ثم الشكل فاذا أدرك الطفل حقيقتها ووضحت لديه وضوحاً تاماً اجتمعت مع بعضها وتكونت صورة كلية للجسم المرئيّ فى مخيلة الطفل بواسطة قوة التخيل المكانيّ صاحبة الشأن العظيم فى هذا العمل لانها هى التى تحدث الصورة الكلية فى النفس من الاجزاء والصفات ولا تتأتى معرفة حقيقة الاشياء بدون ان تتجه اليها القوة المخيلة وتضم الى أحوالها المتغيرة التأثير الخارجيّ

وبما ان قوة التخيل غير متمرنة على العمل فى المبدأ فالواجب اذن على المشتغلين بصناعة التعليم ان لا يبتدئوا الا بالاشياء البسيطة جداً والحوادث الظاهرة الجلية وان لا يكثروا من ايراد المواد على الناشئين لكى يكون لديهم وقت كاف يمكنهم فيه ان ينظروا الاشياء ويفكروا فيها مع التأنى والراحة ويلزمهم أيضاً ان يوقظوا قوة التخيل المكانيّ عندهم لانها هى التى تساعدهم على استحضار صور الاشياء الخارجية وارجاعها الى النفس بصفة صور متذكرة مستكملة للاجزاء والاوصاف لان مجموع الصورة لا يوجد الا بعض الاجزاء فى حالة التذكر اذا لم تكن قوة التخيل الا أنه يلزم لذلك استعمال

وقت أكثر من وقت امعان النظر فى شيء مشاهد . وهذا كله بالنسبة لتعليم الطبيعيات والتاريخ الطبيعى وفن الاشياء وعلم الهندسة وما شاكل ذلك . أما فى غير هذه العلوم فلا يمكن دائماً اطلاع الولد على جميع ما يراد علمه ومعرفته

﴿ بيان الواسطة فى تعليم وتعلم مالا يشاهد بالبصر ﴾

ففى علم تخطيط البلدان يسهل على المعلم فى البدء ان يوجه فكر الولد الى الاشياء التى رآها بعينيه وحصل على ادراكها من التجارب العديدة والمشاهدات الكثيرة . ولكن لا يلبث زمنا طويلا حتى تتسع عليه دائرة الوطن مثلا اتساعاً عظيماً ويرد عليه عند القائه الدرس اشياء كثيرة من بلاد وقرى وانهار وجبال لم يشاهدها الولد من قبل . وفى هذه الحالة توجد واسطتان عند المعلم للتفهيم أولاهما الرسم والتصوير على السبورة . وثانيتهما وصف الاشياء وتوضيحها وتشخيصها تشخيصاً تاماً . ولكن يلزم فى كلتا الحالتين ان تساعد قوة تخيل التلميذ المكانية المعلم لان التصوير والرسم لا يدلان إلا على صور صغيرة للاشياء الحقيقية التى يلزم أن تتصور بشكلها وحجمها الحقيقيين كما يلزم أن يكون الوصف والتوضيح مبنيين

على الامور المعروفة للطفل

﴿ أهمية القوة المخيلة المكانية لتعلم التاريخ والرسم والكتابة ﴾

وفى علم التاريخ يتوقف التعليم الناجح على مساعدة قوة التخيل المكانى لان جميع الحوادث والوقائع التاريخية تنسب الى محال مخصوصة فيحتاج المعلم لذلك الى أن يوقظ قوة التخيل المكانى عند الطالب لكى ينتقل بفكره ويصير مع الشخص المحكى عنه فى مكانه الذى كان حالا فيه ويتخيل انه موجود مع من تتعلق به المكانية حتى كأنه حى هنالك يشاهد الآن ويبصر أعماله (انظر أحوال التخيل المكانى ص ٩٩)

أما لزوم استخدام قوة التخيل المكانية فى تعلم الرسم والكتابة فلا يخفى بعد العلم بأن صحة كبر الاشياء المرسومة أو المكتوبة نسبى فقط لانه مبنى على مقياس فرضى ولهذا يلزم أن تتصور الطلبة المقاييس المعتادة كالذراع والمتر كما يجب أن تقاس امامهم أشياء مخصوصة بهذه المقاييس لان تصور قواعد علم تخطيط البلدان والرسم والهندسة والحساب الاصلية يحدث من مثل هذه المبادئ

﴿أهمية قوة التخيل الوقتى لتعلم التاريخ واللغات﴾

وقوة التخيل الوقتى مهمة بالنسبة لادراك ما يقص فى تعليم التاريخ ادراكا صحيحاً من جهة ولتعلم اللغات الذى يتوقف على تصور الاوقات (الازمنة الثلاثة) من جهة أخرى لان فهم الكلمات الموجودة فى الجمل فهماً صحيحاً يتوقف على ذلك

وتوجد صعوبات كثيرة عند تربية قوة التخيل الوقتى ولذا تستغرق تربيتها وقتاً أطول من الوقت المحتاج اليه لتربية قوة التخيل المكانى لانه لا يمكن قياس وقتين بعضهما كما يمكن وضع قطعتين من الاشياء بجوار بعضهما لمقارنتهما وانما الذى يمكن هو مقارنة الوقت الموجود بمذكرتك بالوقت الحاضر لديك

﴿السبب فى صعوبة تعليم اللغات والتاريخ وتعلمهما﴾

وبيان مايزيل هذه الصعوبة

ومما تقدم يعلم السبب فى صعوبة تعليم اللغات وتعلمها قبل أن يوجد عند الولد استعداد لادراك صيغ الوقت ادراكا صحيحاً وللتمييز بين الازمنة . ولا تزول هذه الصعوبة إلا

اذا ابتدأ معلمو اللغات بتعليم ما شاهده الولد فى حياته اذ بذلك يكون لديه مقياس يعرف به حقيقة دوال الاوقات التى تشتمل عليها الجمل

وليست صعوبة تعليم التاريخ وتعلمه بأقل من صعوبة تعليم اللغات وتعلمها لانه يعسر على المعلم توجيه مخيلة التلميذ الى الحوادث التى حصلت قبل مئات من السنين . ولمنع هذه الصعوبة يلزم الاستعانة بتصور المكان الذى حصلت فيه الحوادث على تصور الوقت كما يلزم استحضار أجزاء حياة النوع الانسانى وكذا الازمنة المختلفة التي يحتوى عليها التاريخ فى صورة نهر جار

﴿ أهمية التعقل بالنسبة لادراك العالم الخارجى ﴾

من المعلوم ان أنواع الشعور لا تفيد المتصف بها أمراً كلياً كما انها لا تشتمل على امتداد محلى فاذا استحالت الى صور محلية أو صور متوالية قد أخذت كل صورة منها شكلا مخصوصاً فى سلسلة الزمن فلا ريب أن هذا ينسب الى أمر آخر وهو التعقل ولكن من العجيب كون النفس تتعقل

الاشياء الخارجية الممتدة المتغايرة مع انه لا يوجد شيء من هذه الاوصاف فى نفس التعقل (أنظر ما قيل فى التصور ص ٤٤) . ومما قرره الفيلسوف الشهير كنت فى هذا المقام تمكن الاجابة عما تقدم حيث قال « ان نتيجة تأثير الاشياء الخارجية على النفس تسمى شعوراً وتشتمل الاشياء الخارجية على أمرين مختلفين وهما المادة والشكل فالذى يشعر به منهما هو المادة التى يلزم أن تأتى الى النفس من الخارج . أما الشكل الذى ينظم الظواهر المختلفة الكثيرة ويجعلها فى عقد مخصوص وسلك معلوم فهو موجود فى النفس دائما ولا يتعلق به شعور أصلا » وذلك الشكل عبارة عن المكان والوقت اللذين تتخذهما جميع التصورات شكلا لموضوع التصور مهما تباين الموضوع او اختلف ولهذا يمكن التفرقة بين جميع الظواهر من غير أن يصرف النظر عن الوقت والمحل لانه لا يتعقل شيء ما بدونهما فى حال من الاحوال (راجع ص ٤٠)

بيان الامور الاساسية النفسية التى يلزم حدوثها عند الطفل قبل حدوث قوة التعقل عنده

ويلزم أن تحدث عند الطفل جملة من الامور الاساسية

النفسية فى الزمن الذى يبتدئ فيه أن يتعقل تعقلا ينسب للوقت والمحل وذلك كلمه بجهات الامتداد التى هى الطول والعرض والعمق اوالارتفاع وبأشكال الخطوط والسطوح والاجسام وتصوره أحوال الصغر والكبر والكثرة والقلة وأحوال الزمن وهى المضى والحال والاستقبال وأحوال الحركات المختلفة كالسير والوقوف والصعود والهبوط . ومعرفته الفرق بين الاستمرار والانقطاع والصيرورة وبين الحى والميت وبين من يشعر ومن لايشعر وبين الكثرة والقلة وبين التعدد والوحدة وتميزه نفسه عن الاشخاص الاخرى وعلم جراء تجميع هذه التصورات التى تقوم بذهن الولد تعتبر أساسا أصليا ينبنى عليه تعلم علم التاريخ الطبيعى والهندسة والحساب والتاريخ وسائر الطبيعيات — وذلك الزمن الذى يتعقل فيه الطفل العالم الخارجى ويبتدئ أن يدركه هو الوقت الذى يتخلل الثالثة والسابعة من عمره فاذا دخل الولد المدرسة صير التعليم الحسى فى سنى المدرسة الأول الاشياء التى لايعقلها ولا يفقه حقيقتها أموراً معقولة

تذييل

فى بيان

حقيقة المعرفة وأنواعها والانتقال من المعرفة الى عدمها

أما بيان حقيقة المعرفة بذكر حد جامع مانع فأمر عسر وان رسمها الفيلسوف هربارت بقوله * المعرفة هى مجموع التصورات الحقيقية القائمة بالنفس * وكذلك المحقق وندت بقوله * تتحقق المعرفة بارتباط التصورات بعضها وترتيبها على مقتضى قوانين مخصوصة *

وأما أنواع المعرفة فهى الاقسام الكثيرة التى ترتبط بعضها ويشخص كل واحد منها حالا من أحوال العالم النفسى وهى

أولا — الشعور الذى هو أحط درجات المعرفة وأقل أنواعها رتبة وهو عبارة عن الرؤية والشم واللمس والسماع والذوق كما تقدم (ص ١٧)

وثانياً — التصور وقد سبق بيانه أيضاً

وثالثاً — المعرفة المنطقية التى تحصل من تحليل

التصورات ثم ربطها ببعضها كتصور الارض ثم الدوران والحكم على الاول بالثانى وكتصور الحرارة والعرضية ثم الحكم على الحرارة بكونها عرضاً قائماً بالاجسام

ورابعاً — معرفة الحسن والجمال كما اذا كنت بأرض مغمورة بالزرع والبساتين ثم رميت ببصرك نحو النجوم المرصعة بالسماء وشخصت نظرك الى صور الحيوانات والنباتات المختلفة شكلا وصنعاً ثم فكرت ملياً فى هذا الصنع العجيب فلا شك انك تجد لديك احساساً مخصوصاً يترتب عليه تمييزك الحسن عن القبيح والرفيع عن المنحط

وخامساً — معرفة الفضائل والرذائل كمعرفة كون مساعدة الغنى للفقير والقوى للضعيف مباحة شريفة ومرضية محمودة وكون تمنى الحسود الضرر للسعيد وكون بحث المتعدى عليه على طريقة للانتقام من المتعدى بنوع غير مرضى من الامور الدنيئة الغير المحمودة

وأما الانتقال من المعرفة الى عدمها أو بعبارة أخرى صيرورة المعرفة جهلا فانه يحصل تارة بسرعة وآونة شيئاً فشيئاً غير أن هذا هو الغالب وليس من ذلك ما يحصل للانسان

حال السبات والنوم مثلا من فقد الشعور بدليل ما يراه الانسان فى منامه من الاحلام أما غيبوبة الشعور واحتجابه فى النفس بصفة صورة غير معروفة (ص ٢٨) كفقد الشعور بصورة الشمس اذا فقد تأثير ضوئها فيعد من هذا القبيل

الباب الثانى فى الاحساس

(بيان حقيقته واقسامه والفرق بينه وبين التصور والشعور)

الاحساس عبارة عن الميل الى شئ أو عدم الميل اليه وبعبارة أخرى هو الرغبة فى شئ أو النفور عنه وهو بذلك يغاير الشعور والتصور لان كليهما ليس ميلا أو رغبة فى شئ ولا عدم ميل أو نفورا عن شئ وهناك فرق آخر بين الاحساس والشعور وهو أن الشعور بحرارة الشئ الحار اذا لمس يحصل قبل التألم منها (النفور عنها) ويوجد فرق آخر بين الاحساس والتصور وهو أن الاحساس يتغير ببطء أكثر من تغير التصور وذلك لان الانسان يمكنه أن يحول فكره بغاية السرعة من تصور الشقاء الى تصور السعادة

بخلاف ذلك فى الاحساس بالسعادة وعدمها ويؤخذ من هذا الفرق الاخير أن الاحساس يشغل الاعضاء المركزية ويستقر فيها زمناً أطول من زمن استقرار التصور ومع هذا فالشعور والتصور ملازمان للاحساس ولا ينفكان عنه

﴿ عدم امكان الحكم بان العدم للانسان خير له من الوجود ﴾

ولا يمكن حصر أنواع الرغبة والنفور فى عدد حتى يتأتى الحكم بان افراد النفور اكثر من افراد الرغبة . على انه لو سلم امكان الحصر فلا يسلم هذا الحكم لان اختلاف الافراد فى الصفة والكيفية قوة وضعفاً مما قد يجعل الفرد الواحد بمنزلة عدد كثير ولذا لا يتسنى استحضار جميع افراد رغبات النوع الانسانى وعدمها حتى يمكن بواسطة المقارنة بين المجموعين استنتاج كون مجموع افراد الاولى أقل من مجموع افراد الثانية . والحكم لذلك بأن العدم بالنسبة للانسان خير له من الوجود

﴿ تقسيم الاحساسات الى جسمية ونفسية وتقسيم الاخيرة الى وضيعة ورفيعة ﴾

وتنقسم الاحساسات باعتبار منشئها الى احساسات

جسمية وهى التى تتعلق بالجسم وأحواله . واحساسات نفسية وهى التى ترتبط بالنفس فمثال الاولى الالم الجسمى الذى يحدث من جرحه ومثال الثانيـة بغض شخص تعدى عليك بقول أو فعل

وتنقسم الاخيرة الى احساسات وضيعة وهى التى ترجع الى منفعـة الاشخاص وضررهم كالاحساس بالفرح والحزن والفخر والمحبة والكراهة الا اذا ارتفعت قيمة الاخيرين وشرفت درجتهما فانهما يعدان من الفضائل ويكونان من القسم الآتى . واحساسات رفيعة وهى التى تتعلق باعمال الانسان الخيرية النافعة العمومية كالميل الى الفضائل والمنافع العمومية

﴿ السبب فى حدوث الاحساس النفسى ﴾

وجميع الاحساسات النفسية تحدث بواسطة تأثرات الحواس الجسمية الا أنها ليست مرتبطة بها مباشرة بل بواسطة التصورات التى تنشأ عنها . فمثلا تحدث احساسات الحسن التى هى عبارة عن الاستعداد لقبول تأثيرات الاشياء الجميلة

مقروناً بالاستعداد للتفرقة الصحيحة بين الحسن والقبيح من كثرة رؤية المناظر الحسنة الدنيوية والاطلاع على الصور اللطيفة والتفكر فيها

﴿ سير الاحساس وامتزاجه بغيره ﴾

ثم ان الاحساسات لا ترتبط بعضها مباشرة بل تنضم الى التصورات حين سيرها ويمكن ان تجدد التصورات وتزول بسرعة بخلاف الاحساسات فتغيرها بطيء جداً ولهذا يجوز ان يبقى الاحساس زمناً طويلا بعد زوال جملة من التصورات التي قد نشأت بعد حدوثه . ويمكن ان تتذكر الاحساسات بمعونة التصورات المتعلقة بها . فاذا أردت ان تتذكر احساسك الذي كان منسوباً لحالة مخصوصة ليمكنك ان تتصور احساس شخص آخر بالنسبة لتلك الحالة فيلزمك الاستعانة بتصور تلك الحالة تصوراً تاماً

(درجة الاحساس)

من الممكن ان تقوى درجة الاحساس فجأة [1] لعارض

---

(١) وهذا الاحساس الفجائي عبارة عن الحرارة أو تحرك الخاطر السريع بشدة كالذي يحصل عند الغضب

فيتغلب على الارادة ويصير العقل عديم العمل خاضعاً للاحساس وتصرفه واذا استمر هذا الاحساس القوى زمناً طويلا واتخذ له وجهة واحدة صار ميلا شهوانياً . وهو يتميز عن السجية والطبع الثابت الذى لايفارق صاحبه مهما وجدت البواعث المضادة له كمحبة الوطن التى هى عبارة عن احساس مخصوص ناشئ عن تصور مخصوص . بكونه لايستمر بخلافه

﴿ قيمة الاحساس نسبية لا مطلقة ﴾

ثم الاحساس نسبيّ القيمة مهما ارتفعت درجته بمعنى ان قيمة كل احساس مرتبطة باحوال الاحساس الذى قبله فاحساس الميل أو الرغبة يكون قوياً جيداً اذا حصل عقب احساس عدم الميل أو النفور ولذا يصير احساس الصحة عقب المرض أقوى من احساس الصحة الدائمة . ولو بلغ الاحساس أعلى درجاته استحال الى ضده لاسباب تقتضى ذلك وذلك لان المجموعة العصبية لاتحتمل الامقداراً مخصوصاً من الميل

وعدمه

﴿ اذا تكرر الاحساس صار عديم الفائدة الا اذا كان احساساً رفيعاً ﴾

ولو تكرر الاحساس صار مجرداً عن الثمرة والغرض المقصود منه ولذلك ترى ان عقاب الطفل بما يؤلمه يصير عديم الفائدة عند المداومة على ذلك . بل ربما ترتب على تكرر العقاب اعتياد الولد على تحمل الألم فلا يحس به بعد ذلك الا قليلا . وترى أيضاً أن تكرر اكل طعام لذيذ الطعم يؤدى تارة الى صيرورته مستوى الحالة وتارة الى جعل طعمه غير لذيذ أو قبيحاً . وهذا فى الاحساسات التى لا تستدعى تأثرا شديداً وتفكراً تاماً فى معنى أمر عقلى أما التى تستوجب ذلك وهى الاحساسات الرفيعة العالية فاعادتها مفيدة لانها تستلزم تقويتها ورفعة شانها . وذلك كسماع آية يرتلها القارئ ترتيلا حسناً مرة بعد أخرى فكلما كرر ذلك كان ادعى الى فهم السامع لمعناها فهما جيداً وزيادة التأثر بها اذ أنه يحصل عنده كل مرة حالة مخصوصة لا يتأتى حصولها لو اقتصر على سماعها مرة واحدة وكسماع دور عال من الموسيقى فان السامع يلتذ من

سماعه كل مرة لان التخيل يشتغل عند التكرار بفهم معناه مع السهولة حتى يقف على معنى نغماته الصحيح

﴿ امتزاج الاحساسات بعضها ﴾

وقد تمتزج الاحساسات المختلفة بعضها امتزاجاً كيماوياً فيتكوّن احساس جديد لا تبقى معه الاجزاء الاصلية التي تكوّن منها حافظة لاستقلالها ويسمى الاحساس المركب كالاحساس بحالة عدم الانشراح الذي يحدث عند الانسان عقب حزن وخوف مثلا وهو يمتاز عن الاحساسات البسيطة بكونه قد يستمر في النفس بعد فقد الاسباب وزوال الوسائل التي نتج عنها

﴿ الاحساس الانوي والاخوي ﴾

ان للاحساس أهمية مخصوصة بالنسبة لمعرفة نفسك فاذا تأملت في حقيقتك مثلا وحاولت الوقوف عليها فلا شك انك تجد لديك صورة مخصوصة من نفسك فتتصور أولا جسمك ثم نفسك ثم تعلم أن ارتباطهما بعضهما من الامور التي

لا يصل اليها علمك . وأن المراد من (انا) الوحدة الثابتة التي لا تتغير عند تغير جميع أحوالها وتعرف ان جميع أحوالها الداخلية وحركات الجسم التي ترتبط بها تنسب اليك لا الى غيرك

ولا يوجد فارق حقيقي بين انويتك وانوية اخرى سوى احساسك الانوي الذي لولاه لحكمت على جميع العالم التصوري الذي تدركه مع بعضه وتباشره في شكل وحدة انويتك بكونه أجنبياً عنك فالميل وعدمه اللذين هما وصفان لك تعلم ان جميع العالم التصوري قائم بك ثم تعرف نفسك وبواسطة الاحساس الاخوي تتسع دائرة الانوية ويحدث الاشتراك الداخلي في كل ما يحس به الغير فرحاً أو حزناً

اختلاف مضمون الاحساس الانوي عند الناس

ويختلف مضمون الاحساس الانوي عند الناس فهو عند الطفل غيره عند الكبير وعند الجاهل غيره عند العالم ويتغير بكل وقت عند كل شخص حال حياته وعلى هذه الكيفية يسير الاحساس الانوي سيراً مختلفاً ويكون تاريخاً

مخصوصاً لانه يستعمل دائما حوادث جديدة بالنسبة لانا ولهذا تظهر الانوية بمظهر أمر متغير تغيراً تاماً من جهة وبصفة أمر ثابت لا ينفك عن حالة واحدة وان تغيرت أحواله من جهة أخرى

﴿أهمية الاحساس بالنسبة لحياة النوع الانسانى﴾

من المقرر عند أغلب الفلاسفة ان الرغبة سبب باعث ومقتض لارتقاء حياة الانسان الجسمية والنفسية . وان عدم الرغبة أى النفور مانع من ذلك فاحساس الذوق مثلا يفيد الانسان اذا رغب فى الشئ المذوق لان الرغبة تدل عادة على اشتمال الطعام على مواد مغذية للجسم ونافعة له

أما اذا لم يرغب فيه ولم يمل اليه فلا يستفيد منه شيئاً لان النفور يشعر عادة بوجود مواد تضر بالجسم وانما قلنا عادة لئلا يرد بعض أنواع السم الذى يحس الانسان بأن طعمه لذيذ بسبب تأثيره على أعصاب الذوق مع انه لا يلبث زمناً قصيراً حتى تنتشر أجزاؤه المضرة فى الجسم وتوقف سير أعمال الحياة الجسمية كما ان التذاذ النفس وتمتعها بشيء من

شأنه أن يضر بها لا يرقيها الا الى درجة مخصوصة فقط ثم يعقب ذلك تغلب الضرر عليها وايقاف حركة تقدمها

فبناء على هذا يكون حفظ حياة هذا العالم من تطرق الخلل اليه مبنياً على الاحساس . أما القول بأنه يستند على معرفة الصالح والمضر فغير ظاهر بالنسبة لحفظ النوع الانسانى من تطرق الفساد اليه من نفسه بواسطة تخلقه بالاخلاق الفاضلة لان العقل لا يقضى وحده على أي حالة كان بلزوم اكتساب الفضائل النفسية والاخلاق المرضية اذا لم يكن الالتذاذ النفسي الرفيع الدرجة شأن فى ذلك — على انه لا معنى لهذا القول فى بعض الاحوال فان الانسان لا يتحاشى عن تناول المطعومات الكريهة الرائحة لعلمه بضررها بل لعدم ميله اليها ولا يعنف نفسه من يريد قتل غيره قبل الاقدام على هذا الفعل القبيح لكونه يعلم ان ارتكاب هذا الامر المستنكر يترتب عليه خطر على حياة الهيئة الاجتماعية بل لانه يحس بأن هذا أمر يخالف الذمة والشرف ويناقض المروءة والانسانية

فالاحساس هو الذى ينبنى عليه جميع أعمال النوع الانسانى

وهو السبب فى نظام هذا العالم وتقدم شأنه وهو الواسطة فى حصول جميع الحوادث المدونة فى التاريخ

الباب الثالث

فى الارادة وما يتعلق بها

(أنواع الحركات)

ان الارادة من الاحوال النفسية الاصلية البسيطة ولا يمكن وصفها وصفاً شافياً بل الذى يتأتى هو اقتفاء أثر أحوالها الظاهرة لنا كالتغير فى العالم الخارجى والداخلى الذى ينتج عنها بواسطة حركة الجسم التى هى رسول الارادة أو مظهرها ولذا وجب الاعتناء بشأنها وتقديم الكلام عليها وهى على أنواع

النوع الاول الحركات القسرية
وأسبابها وموانعها وموضعها

ان هذه الحركات تعتبر كأصل لجميع ما عداها من

الحركات وأسبابها كثيرة — منها — تهيج الاعصاب الذى ينشأ من تغير الاحوال النفسية فينتج عنه اجتماع قوى مختلفة فى الاعصاب فتضطر الى أن تنصرف عنها وتتخذ الحركات المذكورة مخرجاً لها كالتصاق الاسنان بعضها التصاقاً شديداً كرهها عند حصول ألم شديد فى الجسم — ومنها — المؤثرات الخارجية فانك ترى ان الشخص اذا أحس بقرب حصول خطر أو ضرر فى عينه آت اليها من الخارج يضطر الى اقفالها بدون إرادة له فى ذلك العمل واذا دخل شئ فى قصبة الهواء عند الاكل مثلا يعقبه مباشرة سعال من غير اختيار لان الاعصاب الحساسة تنذر مركز المجموعة العصبية بالضرر فتتأثر الاعصاب المحركة وتحدث حركة قسرية تقي الانسان منه فاذا طرأ على الاعصاب الحساسة تأثير آخر مضاد للتأثير الاول الذى يستدعى الحركة أو غلب حكم الارادة فلا تحصل الحركة القسرية ولذا لا يقشعر الجسم عند الخوف الشديد اذا تغلب سلطان الارادة — والموضع الاصلى للحركة القسرية هو العمود الفقرى الا انها تنشأ أولا في المخ ثم تتبعث منه اليه

﴿ الوقت الطبيعى والاختيارى وبيان الفرق بين حركة الاحساس الطبيعى والحركة القسرية ﴾

ويلزم مضى وقت بين حصول الشعور بالمؤثر الخارجى ورد الفعل يعرف (بالوقت الطبيعى) وهو أقل من (الوقت الاختيارى) الذى تحتاج اليه الارادة لاجراء أعمالها فيه وتبليغ الاعصاب خبر المؤثر الخارجى ولا يزيد الوقت الطبيعى عن خمس ثانية

والفرق بين حركة الاحساس الطبيعى والحركة القسرية ان الاولى تمثل جملة مخصوصة من الوسائل الموصلة للغرض بدون سبق معرفة فليس عند الطير مثلا سبق تصور العش الذى يصنعه وانما هى الهامات الهية واحساسات جسمية خلقية يتوارثها الطيور خلفاً عن سلف

﴿ النوع الثانى الحركات التقليدية ﴾

وهى التى تستند على مجرد تخيل نفس الحركة من غير عمل للارادة . ومن هذا النوع تعد أغلب أعمالك اليومية فعند

ما يحصل لديك تصور حركة بعد انقضاء سلسلة مخصوصة من الافكار مع عدم وجود أمر يضاده يصير هذا التصور وحده حركة ويظهر هذا خصوصاً فى مثل الامور المتعلمة فى الصغر كالكتابة ولعب الموسيقى لان تصور كتابة الحروف أو النغمة يؤدى الى حصول الحركة الضرورية لذلك بدون احتياج الى تصور هذه الحركة — ولا شك ان التقليد هو الواسطة المهمة للتربية والتعلم لان به يصل الطفل الى مبادئ المعلومات (راجع ص ٧٨)

﴿ النوع الثالث حركات العبارة ﴾

وهى التى يعبر بها عن أحوال الجسم الداخلية وهى ليست مباينة للحركات الاختيارية والقسرية بل تنسب لهذا النوع تارة ولذاك أخرى وانما أفردت بمبحث مخصوص لاهميتها فان حدوث جميع العالم النفسى مبنى على تردد الناس مع بعضهم وهو لا يحصل الا بواسطة حركات العبارة

ويمكن مشاهدتها عند الاطفال بعد زمن قصير من الولادة فيستدل على ميل الطفل لشىء بفتح عينيه فتحاً جيداً

وعلى عدم ميله باعراض وجهه أو اقفاله عينيه ويعرف الولد المسرور من غيره والذى تتعلق آماله بشىء من غيره والسليم من المريض بواسطة حركات العبارة فى الجميع التى من جملتها التبسم والضحك والبكاء ومداومة النظر الى شىء والاعراض عنه وغير ذلك من الاحوال التى تصدر عن الطفل بعد مضى بعض أسابيع من وقت ولادته

﴿ ان حركة العبارة تحدث عند الطفل بواسطة التقليد ﴾

ثم ان حركة العبارة تحدث عند الطفل بواسطة التقليد فلو أظهرت وجهاً عبوساً له لرأيت انه يفعل مثلك ولو ابتسمت امامه فى الحال لما شاهدت منه الا ثغراً باسماً . ولو بكيت امامه لبكى . ولو حركت رأسك لحركه هو كذلك . ثم هو يفعل مثل هذه الحركات التقليدية قهراً والسبب فى ذلك ان رؤية الحوادث الخارجية تحدث فى اعصابه تهيجاً ينبنى عليه تلك الحركات التقليدية القسرية غير انها لا تلبث زمناً طويلا حتى تصير حركات اختيارية يعبر بها عما فى ضميره متى تصور الاسباب الحقيقة لتلك الحركات التقليدية واستقرت

دواعيها فى دوائر معلوماته كان يتصور ان سبب التبسم هو السرور مثلا . وذلك لا يكون الا بعد تجارب ومراقبات كثيرة

﴿ الاشارات . والعلامات اللغوية . والحروف الهجائية ﴾

ان من حركات المبارة نوعا يصدر من الاطفال وغيرهم بلا تفاوت كمد الولد يديه وخبطه كفيه على بعضهما اذا رأى شيئاً ومالت نفسه اليه للدلالة على رغبته فى الحصول عليه متى فهم معنى هذه الحركة وكطأطأة الشخص راسه مرة أو مرارا أو هزه له يميناً ويسارا اذا سأله آخر عن شىء دلالة على الاجابة بنعم أو لا ومتى كثرت هذه الاشارات وبلغت مقداراً عظيما سميت « علامات اللغة » وهى الواسطة الوحيدة فى حصول التفاهم بين من لا يعرفون لغات بعضهم كما انها الآلة للبكم الصم التى يستعينون بها على تفهيم الغير مايريدونه . ويؤخذ من استعمال هذا الفريق علامات متشابهة للتصورات المتماثلة ولو اختلفت أصنافه وتباينت لغاته بان كان بعض الصم البكم من العرب والبعض الآخر من الافرنج ان دوال لغاته واحدة

لاتفاوت فيها لان نفوس جميع أفراد النوع الانسانى تسعى دائما فى ايجاد روابط بين العلامات اللغوية والتصورات التى تقصدمنها وتجتهد فى أن تكون تلك الروابط متناسبة مهما اختلفت الاحوال أو تباينت الاصناف البشرية . أما الذين ليسوا ببكم فيعبرون عن أحوالهم الداخلية بمعونة الحروف الهجائية التى هى صورة أيضا من صور حركات العبارة كما ان عضو النطق (اللسان) يعتبر عضواً محركا كاليدوالذراع وتسمى هذه الحروف (بدوال اللغة)

﴿ كيف يصل الطفل الى النطق ﴾

مما يهم صناعة التعليم وتربية النفس بيان كيفية تعلم الطفل لغة أبيه وأمه ووصوله الى ابراز هذه الحالة النفسية الى عالم الوجود . ولو أمعنت نظرك لعلمت ان السبب فى ذلك لديه خلقة اذ أنه مستعد للصياح من حين الخلقة لوجود آلته لديه ولا شك ان النطق يعد حالة مخصوصة من احواله بعد تكييفه بكيفية مخصوصة وحالة معلومة . غير ان هذا ليس كافياً وحده لتعلم الطفل السليم النطق الصحيح

بل هناك أشياء كثيرة . منها . وجود تصورات مخصوصة عنده وقيام صور مختلفة بذهنه كصورة أبيه وأمه والمهد الذى يوضع فيه أو السرير الذى يستلقى عليه . ومنها تصوره المقاطع المخصوصة التى يلفظها الذين يتكلمون امامه . ومنها رؤيته شفتى المتكلم وتقاطيع وجهه المختلفة المصاحبة للتكلم ليعرف صورة وضع الشفتين اذا نطق الانسان بالحرف ب مثلا مفتوحاً أو مكسوراً أو مضموماً أو ساكنا . ومنها استعداد اللسان لايجاد مقاطع طبيعية اذا قامت بالاعصاب الحساسة احساسات مخصوصة وغير ذلك من الاسباب التي ينبغى للمشتغل بمعرفة الاحوال النفسية وكيفية حدوثها معرفتها والوقوف عليها

﴿ ماهو السبب فى سرعة تعلم بعض الاطفال النطق والتكلم وبطء البعض الآخر ﴾

اذا راقب الانسان الاطفال حين تعلمهم النطق والتكلم يشاهد ان حالتهم بالنسبة لذلك تختلف سرعة وبطأ فمنهم من يتكلم بعد مضى سنة فأقل من ولادته . ومنهم من يحتاج

للحصول على ذلك الى سنتين فاكثر . وفى كلتا الحالتين هم يتعلمون أنواع الهجاء ويربطونها بعضها بمعونة السماع فمن يسمع منهم جيداً ويميز المقاطع عن بعضها يسهل عليه تعلم التكلم فى زمن قصير ومن لا فلا لان نهاية أعصاب السمع المركزية مرتبطة بالاعصاب الواصلة الى الفم واللسان فتؤثر عليه اما قليلا أو كثيراً . وعلى حسب ذلك تكون سرعة تعلم التكلم أو بطؤه . وللتقليد شأن مهم أيضا فى سرعة تعلم التكلم (ص ٧٣) فمن تكن ملكة التقليد قوية عنده يتعلم التكلم سريعا ومن لا فلا

﴿ أهمية اللغة ونسبتها الى الفكر ﴾

لا يخفى ان اللغة من الاعمال النفسية المرقية للنوع الانسانى والمميزة له عن غيره من الحيوانات اذ انها تتخيل وتميل وتحس ولكن لا يمكنها ان تبرز تخيلها وميلها الى الخارج الا بواسطة الاشارات لعدم وجود استعداد لديها للهجاءات اللغوية فهى عاجزة لهذا السبب عن اتمام الاعمال النفسية الضرورية للتكلم . ولها شأن عظيم فى تكوين الفكر واعلاء درجته لان

كل كلمة واسطة فى التفكير فى الاشياء وربط التصورات العمومية بعضها وحفظها فى عالم التصور حتى قال بعضهم انه لا يمكن التفكير ولا التصور بدون اللغة وبنى على هذا استحالة تربية البكم وتعليمهم مهما اتخذت الاحتياطات الكثيرة لذلك غير ان دعواه منقوضة بما يشاهد من حصول الاطفال على مقدار عظيم من مبادئ المعلومات فى السنة الاولى من عمرهم وتفكرهم فى الاشياء وحكمهم عليها ووصولهم الى التصورات العمومية مع جهلهم باللغة ولكنه ينقض ذلك بان الاستعداد للغة موجود لدى السليم من الاطفال أما البكم فليسوا مستعدين لها أصلا . ثم ان الطفل يبدأ فى مبدأ أمره التفكر كأب وبيت وكلب دوال على معان جزئية حيث يعتقد ان الكلمات المذكورة لا تدل الا على أبيه والبيت الذى يسكن فيه والكلب الذى يشاهده دائما ولكنه اذا شاهد افراداً كثيرة من ذلك توجد لديه تصورات عمومية ويعرف ان تلك الكلمات دوال على معان كلية وان كلمة بيت مثلا تصدق على كل بناء معد للسكنى فيه . ويزداد فكر الولد وتصوره وضوحا تاما اذا درس اللغة التى تنسب لكل كلمة معناها الحقيقى . فان لدراسة

اللغات وتعلمها أهمية عظمى بالنسبة للادراك المنطق لان الطالب مفتقر الى ادراك معنى كل كلمة منفردة والى معرفة الفرق بينها وبين غيرها والى استعمالها على الوجه الصحيح فى العبارات المناسبة واذا أراد المقارنة بين المعانى المختلفة احتاج الى تكرير الجمل والعبارات مرة بعد أخرى والتفكر فى معانيها ومدلولاتها التى تساعده وتمنع تشتت فكره

﴿ ضرورة نطق التلميذ بما يتعلمه وبيان الواجب على المعلمين ﴾

ولكون الكلمات قوالب للمعانى وصوراً للاشياء المعقولة يلزم المتعلم عند تعلمه شيئاً فكريا كالرياضيات والطبيعيات واللغات أن ينطق بالذى يتعلمه سراً فاذا لم يفعل ذلك لم يثبت فى ذهنه شىء ولم تنكشف له حقيقة الاشياء انكشافا تاماً وتبقى التصورات لابسة ثوب الخفاء فلا تلبث فى النفس زمناً طويلا حتى تزول منها وتذهب حيث أتت فالتكلم السرى وكذا الجهرى من باب أولى عند حفظ عبارة أو فهمها يزيل خفاءها ويكسبها صفة الوضوح ويرفع قيمة العلم بمضمونها

ويجعله جلياً ثابتاً . ومن هذا يعلم مقدار ثمرة التمارين الشفهية في جميع طبقات التعلم وفروعه وخصوصاً تعلم اللغات . فعلى المعلمين أن يكلفوا الطلبة بالتعبير عما يتعلمونه فى الدرس بعبارات صحيحة مملوءة بالمعانى والافكار خالية عن الحشو بحيث يكون التعبير بصوت جهورى لكن الى درجة معلومة لا تمانها النفوس ولا تمجها الاسماع — فما تقدم يتضح لك جلياً أهمية اللغة لانها هى الوسيلة فى الحصول على المعرفة النفسية الحقيقية وفى معرفة الاحكام والنتائج المشتملة عليها بسرعة وفى التفكر فيها للبحث عن صحتها وفسادها كما انها السبب فى بقاء المعلومات التى وصل اليها ادراك النوع الانسانى الى الآن محفوظة ثابتة لانها ساعدت على تدوينها فى بطون الاوراق

وللمناسبة أرانى مضطراً أن أذكر حضرات اخوانى معلمى اللغة العربية التى كادت أن تتقوّض أركانها بعض ملحوظات حرية بالاعتناء بها علها تساعد على احياء هذه اللغة الضعيفة التى أعرض عنها أهلوها ونأوا وصرفوا همتهم فى تعلم اللغات الاجنبية فأقول

ان تعلم أية لغة ينحصر فى هذه الامور (الاول) معرفة كتابة دوالها على الوجه الصحيح والقراءة كذلك (الثانى) فهم معانى الكلمات التى تشتمل عليها اللغة فهماً جيداً (الثالث) ابراز ما هو مستتر فى الضمير ووضعه فى عبارة صحيحة إما شفهياً أو تحريريا

أما الامر الاول فيحتاج الى تعلم فن الرسم والقواعد الصرفية والنحوية ولكن بغير الطريقة التى عليها العمل الآن اذ أن بعض حضرات المعلمين مهتمون بتعليم قواعد بحتة والبعض الآخر يبذلون همتهم القصوى فى تعليم القواعد ولا يعطون للعمل والتمرين الا جانباً يسيراً من الاهتمام والاعتناء مع ان الناشئين محتاجون الى العمل والتمارين أشد من احتياجهم الى القواعد اذ كثيراً ما يعرفونها ولكن لا يتأتى لهم أن يستعملوها فى كتاباتهم ومحادثاتهم فلو ان معظم الزمن يصرف فى التمارين وتستنتج القواعد منها حين العمل وعلى حسب الضرورة واللازوم لتعلموا كثيراً ووصلوا الى نتائج أكثر مما هم عليه الآن

ولست أقصد من التمارين أن نلقى اليهم عبارة ويكافوا

باعرابها كان يذكروا فى الفعل الماضى مثلا انه مبنى على السكون لاتصاله بتاء الفاعل أو على الضم لاتصاله بواو الجماعة أوان فعل الامر المعتل بالالف مبنى على حذف الالف والفتحة قبلها دليل عليها أوان جمع المذكر السالم مرفوع بالواو نيابة عن الضمة أو منصوب بالياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها لانه جمع مذكر سالم الى غير ذلك من الامور التى كانا نحس بأن كثيراً منها غير مفيد بل مضر من حيث تضييع الزمن بلا فائدة من جهة وجعل مثل هذه العبارات الفاظاً محفوظة للطلبة لا يفقهون لها معنى من جهة أخرى .

ولذا تراهم يخبطون خبط عشواء اذا أمروا باعراب عبارة فيأتون بألفاظ محفوظة ويضعونها فى مواضع غير مناسبة ولو انهم أدركوا معانى هذه الالفاظ لما فعلوا ذلك وترى أيضاً انهم ولعون بالاعراب ولوعا زائداً لسهولته عليهم وعدم احتياجهم الى تشغيل فكرهم مع انهم لو لم يتعلموا سوى كون الماضى يكون مضموم الآخر اذا اتصل بواو الجماعة وجمع المذكر السالم يرفع بالواو وينصب بالياء وهكذا ثم يكلفون بالاتيان من أنفسهم بأنواع مختلفة من الكلمات ثم بوضعها

فى تراكيب مناسبة وهكذا حتى يسلموا من الخطأ فيما ينطقون به ويكتبونه ويصير استعمال الصحيح ديدنا لهم وعادة من عاداتهم لكفاهم ذلك

وأما الامر الثانى وهو فقه اللغة فلا وجود له فى المدارس أصلا بالنسبة للغة العربية ولذلك ترى ان الاعتناء بالمطالعة قليل جداً وليتها مع قلتها تستعمل فيما وضعت له بل نرى ان حضرات الاساتذة لا يقصدون منها سوى تثبيت القواعد ولا يعتبرونها الا وسيلة لذلك فهم لا يناقشون التلامذة عند المطالعة الا فيها فيأمرونهم بالاعراب ومن يحسن منهم صنعاً يأمرهم بتعيين المرفوعات والمنصوبات وبيان أسباب الرفع والنصب أو تعيين المبنى والمعرب وهكذا مع ان الغرض من المطالعة أرقى من ذلك اذ المراد منها تثقيف عقل الطالب وتوسيع دائرة مفكرته وتعليمه المعانى الحقيقية المرادة من الكلمات وأصولها وما اشتق منها وطريقة استعمالها فى المخاطبات والمحادثات الى غير ذلك ولا أرى للوصول الى هذا الغرض سبيلا سوى الاعتناء بجميع هذه الامور عند المطالعة

(١) تفهيم معانى الكلمات بالتحقيق

(٢) طريقة التحليل والتجزئة كأن تطالب التلامذة بتقسيم العبارة التى يطالعونها طالت أو قصرت الى جمل ويبحثون من انفسهم عن الموضوع فيها والمحمول اللذين هما جزءا الجملة الاصليين وعن مكملات الجملة التى لها ارتباط بها كالظروف والصلات والاوصاف ولا ريب أن الاهتمام بذلك أعظم مساعد لتربية قوة التفكر والتعقل عند الناشئين فضلا عن كونه يفضى الى معرفة القواعد معرفة جيدة بحكم الضرورة وان كان هذا أمراً عرضياً وذاك ذاتياً

(٣) تكليف التلامذة باستعمال الكلمات الجديدة التي ترد عليهم عند المطالعة فى جمل مخصوصة حتى يتحققوا مدلولاتها ومعانيها ولا شك ان هذا يساعد على تعلم الانشاء كما سيأتى عند التكلم عليه

(٤) تنويع العبارة أثناء المطالعة فاذا فرض أن العبارة التى تطالع هى (وعلى التلميذ أن يبذل جهده فى فهم دروسه ويعتني بنظافة جميع أعماله وترتيبها من صغره حتى يكون ذلك عادة له اذا كبر) يأمر الاستاذ واحدا منهم بتثنية كلمة (التلميذ)

وتكملة العبارة وآخر بجمعها وتكملة العبارة وغيرهما بابدال كلمة التلميذ بالتلميذة ثم تثنيتها وجمعها وهكذا من الاحوال التى تساعد أيضاً على تعلم الانشاء

(٥) وضع الاسماء الظاهرة مكان الضمائر ليعتاد التلميذ على التحقق من مرجع الضمائر وتربو لديه ملكة التعقل كأن تقرأ العبارة السالفة بهذه الصفة (وعلى التلميذ أن يبذل التلميذ جهد التلميذ فى فهم دروس التلميذ ويعتنى التلميذ بنظافة جميع أعمال التلميذ وترتيب الاعمال من صغر التلميذ حتى يكون ذلك عادة للتلميذ اذا كبر التلميذ) ولا شك أن الناشئ يحس من نفسه عند تكرير الاسم الواحد مراراً تمجها الاسماع بفائدة الضمائر والغرض منها ويمكنه أيضاً بواسطة ذلك تنويع أى عبارة بغاية السهولة لانه متى عرف المرجع بالتحقيق لا يصدر منه خطأ فى التنويع

ومن اللازم لفقه اللغة أيضاً حفظ كثير من العبارات النظمية والنثرية مع فهم معناها فهماً جيداً كما فى المطالعة

وأما الامر الثالث فهو عبارة عن تعلم الانشاء بنوعيه ولا شك أن هذا النوع هو ثمرة النوعين السالفين ولب تعلم

اللغات بأسرها الا انه لسوء حظ أبناء الوطن مهمل جداً وغير معتنى بشأنه وجلّ اعتناء حضرات المعلمين انما هو الامر الاول كأنه من المقاصد وما عداه من الوسائل أو المكملات وللاخذ بناصر صناعة الانشاء يلزمني أن أذكر هنا بعض ما يبدو لي بالنسبة لتعلم الانشاء فأقول

ان الاجدر بنا أن نعلم أبناءنا الانشاء في المدرسة الاولى وهي الاسرة منذ نشأتهم وبما انه ليس في استطاعة الاسرات عندنا أن يقوموا بالمطلوب منهم بالنسبة لذريتهم حتى الآن فمن الواجب ألا نترك الاولاد وشأنهم الى الزمن الذي يعسر فيه تعويدهم على أمر لم يكونوا قد عهدوه بل يلزم أن نشتغل معهم في المدارس الابتدائية بالانشاء من حين دخولهم المدرسة أعني من السنة الاولى وليس غرضنا من الانشاء هنا أن نكلفهم بأمر ليس في استطاعتهم بل نستعمل معهم ما في وسع كل منهم وهو

﴿ الانشاء الشفهي ﴾

فمتى بلغ الولد سبع سنين أو ثمانيا وأدرج في سلك

التلامذة نطالبه بالتعبير بعبارات صحيحة خالية من الالفاظ الاعتيادية التى تتخاطب بها العامة فى معاملاتهم ومجتمعاتهم حتى يصير التعبير الصحيح كالسليقة له أو على الاقل سهلا عليه وهكذا نستمر معهم على هذه الحالة ونجدّ فى تعليمهم الانشاء الشفهى والتعبير الصحيح فقط مدة السنتين الاوليين من سنى التعليم الابتدائى

ولكن ينبغى ان يعرفوا كلمات كثيرة مختلفة النوع يختص بعضها بالاجتهاد والسعى . وبعضها بالكسل وفتور الهمة وبعضها بالشكر . وبعضها بكفران النعمة . وبعضها بالمدح . وبعضها بالذم . وبعضها بالمساكن والمدن والطرق والارض وبعضها بالبحار والانهار . وبعضها بالحيوانات والنباتات والبعض الآخر بالجمادات وهلم جرا . ويجب ان يفهموا معناها فهماً جيداً وكيفية استعمالها فالفعل الذى يتعدى بنفسه يتعلمونه وحده والذى يتعدى بحرف من حروف الجر يتعلمونه مع الحرف الذى يتعدى به اذ بمثل ذلك يستعينون على التعبير الصحيح والا نكون قد أمرناهم بشىء يتعذر حصوله منهم

هذا هو الانشاء الشفهى الذى يجب على كل قائم بشؤون التربية والتعليم ان يوفيه حقه فى السنتين الاوليين من سنى التعليم الابتدائى وتلك هى الطريقة التى يلزم اتباعها . ولا بأس ان تكلف التلامذة بكتابة الجمل التى ينطقون بها متى تحقق الاستاذ من صحة التعبير ليكون ذلك تمهيداً للانشاء التحريرى فى السنين الأخرى

فاذا أتى الوقت الذى ينتقل فيه التلميذ الى السنة الثالثة فيلزم الاعتناء هنا (بالانشاء التحريرى) أيضاً ولذلك طرق كثيرة أنجحها ماسيأتى على الترتيب

(١) القاء المعلم حكاية باللغة العامية ثم استنتاج أسئلة منها وتكليف التلامذة بالاجابة عن كل سؤال شفهياً ثم تحريرياً وبعد ان تتم الحكاية على هذا المنوال يطلب منهم ربط الاجوبة بعضها شفهيا ثم تحريريا

(٢) تجزئة أى موضوع بسيط محسوس من المواضيع الآتية مثلا الى أجزاء مختلفة ووضع كل جزء فى قالب سؤال وتكليفهم بالاجابة شفهيا ثم تحريريا الى آخر ماتقدم كموضوع

وصف الانسان . فيسألهم (١) من أى شىء يتكون جسم الانسان (٢) مالونه (٣) مافائدة كل عضو من أعضائه (٤) ماالذى يتميز به الانسان عن غيره من باقى الحيوانات . وكموضوع لماذا تحترم استاذك . فيسألهم (١) ما الذى تستفيده من أستاذك (٢) ما الذى يترتب على تربيتك وتثقيف عقلك (٣) ماهى حالتك اذا لم يعلمك الاستاذ (٤) ماالذى يترتب على جهلك (٥) هل الاستاذ محسن صنعا وقد هذب نفسك (٦) ماجزاء من يصنع الخير مع غيره (٧) ما الذى يمكنك ان تكافىء به أستاذك

(٣) القاء المعلم حكاية باللغة العامية ثم تعريب التلامذة لها شفهيا واحداً بعد الآخر ثم كتابتهم لها دفعة واحدة

(٤) يطالعون أى موضوع من كتاب المطالعة وتشرح لهم الالفاظ التى يشتمل عليها ذلك الموضوع شرحا كافيا وتوضح لهم كيفية استعمالها فى التعبير بحيث يسألون دائما عند المطالعة عن وضع أى كلمة فى جملة ومتى كونوها يطلب منهم تكوين جملة أخرى مناسبة لها أو يستنتج الاستاذ سؤالا من العبارة التى يطالعونها ويأمرهم بالاجابة عنه . ثم يستنتج سؤالا

من الجواب ويأمرهم بالاجابة عنه وهكذا حتى تتم العبارة اذ أن مثل هذه المناقشات تعود على فكرهم بالفائدة المطلوبة . ثم يطلب منهم قص ماطالعوه ثم كتابته

(٥) تعطي لهم جمل بلغة أجنبية ويؤمرون بترجمتها الى اللغة العربية شفهيا ثم تحريريا

(٦) تعطى لهم حكاية بلغة أجنبية ويكلفون بترجمتها الى اللغة العربية كذلك . غير ان الطريقتين الاخيرتين لا يمكن تحققهما الا اذا عرف الاستاذ والتلامذة لغة واحدة من اللغات الاجنبية ولا شك ان الترجمة من أفيد الطرق التي تساعد على تعلم الانشاء اذا أحسن معلمو الترجمة اللغة العربية واتحدوا مع معلمي هذه اللغة فما يعطيه هؤلاء من الجمل ومواضيع الانشاء يعطيه أولئك باللغة الاجنبية ليترجم الى اللغة العربية فتنتفع التلامذة من الجهتين . وعلى هذا فمن الواجب الا يفوض أمر الترجمة الا لمن يكون عنده المام تام باللغة العربية

وبالجملة يلزم ان تكون المواضيع بسيطة جدا ومن الامور

التى يشاهدها التلميذ أو يحس بها طبيعة مثل ما الذى يشتمل عليه هذا المكتب . صف السبورة (التختة) . ماالذى فعلته أمس . لماذا تحترم والديك . لماذا تحب أستاذك . ماالغرض من المدارس . ويحسن ان تعطي لهم الاشياء التى عرفوها من فن الاشياء وعلم تخطيط البلدان . مثل التكلم على البقرة والجمل والقطن وتقسيم القطر المصرى وفائدة النيل لبلاد مصر

ويلزم على كل حال ان يقسم الموضوع الى أقسام وان يكون ذلك من نفس التلامذة فى الاوقات الاخيرة بأن يسأل المعلم أحدهم عند الشروع فى وصف الانسان . على أى شىء تريد أن تتكلم عن هذا الموضوع فيجيب قائلا أريد أن اتكلم عن اعضائه ثم يسأل الثانى بمثل ما سأل به الاول فيجيب قائلا أريد ان اتكلم عن لونه وهكذا . ويلزم أيضاً تعبير التلامذة عن كل قسم من هذه الاقسام قبل الشروع فى العمل لكى يساعدهم الانشاء الشفهى على توفية الانشاء التحريرى حقه . اللهم الا اذا تمت لديهم ملكة التعقل واستطاعوا أن يفكروا وحدهم فى الموضوع الذى يراد التكلم عليه فيتركون وشأنهم ليرتبوه كما يشاؤن والله الموفق

﴿ الباعث الطبيعي والشهوة والرغبة والعزم والفرق بين الباعث الطبيعي والاحساس الطبيعي ﴾

ان بيان هذه الامور ضروري أيضاً لمعرفة كيفية حدوث الارادة لان الباعث الطبيعي مقدمة من مقدماتها وأصل تبنى عليه وهو يصير شهوة اذا صار قوياً وارتفعت درجته جداً وساد على الفكر . وهي تصير رغبة اذا وجدت ولم تحصل حركة عقب حدوثها . والفرق بين الباعث الطبيعي والاحساس الطبيعي الذي يوجد عند سائر الحيوانات انه يكون مصحوباً بتصور واضح وضوحا تاما أو غير تام يساعده على احداث التأثير على الانسان بخلاف الاحساس الطبيعي فلا يوجد معه تصور أصلا ولا يؤثر على صاحبه الا بواسطة احساسات أخرى قصيرة الزمن تصاحب حركة الفعل . ومن هذا يعلم الفرق بين صورة الاحساس الطبيعي الموجود عند النملة مثلا اذا صنعت مأوى لها وبين صورة الباعث الطبيعي الموجود عند البناء أو المصور مثلا . واذا كثرت عند انسان بواعث طبيعية مختلفة مرمى ومقصدا وازدحمت

لديه بدرجة واحدة صار فى حالة تردد وقدم رجلا وأخر أخرى ووقف موقف المتحير المبهوت الذى لا يدرى أى الامرين او الامور خير وأولى . ولا تزول هذه الحالة الا اذا صار التفكر حكما فاصلا فيشرع نحو الوقوف على الاسباب والوسائل التى تدعو الى الحكم القاطع ويرجح بعض البواعث الطبيعية على غيره فيصير الباعث الراجح عزماً وتظهر الارادة بارفع مظاهرها لان العزم أرفع حالاتها وأرقى صورها بل هو الارادة الحقيقية اذ به يرتاح الخاطر ويجعل الغرض امامه دائما ولا يلتفت عنه بحول ولا حيلة

أنواع الشهوة

ان الانسان قد يشتهى أمراً مادياً كان يشتهى استنشاق رائحة شىء أو نظر صور جميلة أو سماع موسيقى أو ذوق مأكول أو الحصول على مال وقد يشتهى أمراً أدبياً كمسامرة مفيدة أو شرف واعتبار لدى الاخوان أو وقوف على حقائق الاشياء أو استكشاف أمر مجهول أو اختراع شىء

مفيد . فعلى حسب اختلاف أنواع الشيء المشتهى (بفتح الهاء) تنقسم الشهوة الى قسمين . شهوة الحواس وشهوة النفس . وان كان هذا التقسيم غير حقيق لان شهوة النفس تنشأ غالباً عن احساس الحواس وشهوة الحواس قد تصير شهوة نفس . ولكون الاصل عدم اشتهاء الاشياء يلزم لاحداث صفة الشهوة عند الطفل أن يعالج نفسه من احساس النفور عن الاشياء وعدم الميل اليها بحيث يتصور الاشياء التي تنفر نفسه منها ثم يبحث عن الوسائل التي تجعلها مشتهاة ومرغوبة

﴿ مراتب الشهوة ﴾

ومراتب الشهوة ثلاث . أولاها الالتفات . وثانيتها الاهتمام الذي يوجه فكر صاحبه واحساسه الى الشيء ويمهد له طرق الشغف به والسعي نحوه وتمني الحصول عليه وهنا تتحقق مرتبة الشهوة الثالثة النهائية

﴿ اختلاف درجات الشهوة ﴾

وتختلف درجات الشهوة قوّة وضعفاً فاشتهاء الاكل

والشرب ممن اتصف بالجوع والعطش ليس كاشتهائهما ممن ملأ نصف معدته من الطعام والشراب ولم ينته أكله وشربه واشتهاء الاستراحة والسكون ممن أتعب نفسه فى أشغاله فوق العادة له قوة معلومة ودرجة مخصوصة تغاير درجته لدى الكسل وكذلك لكل من اشتهاء المسامرة من المتصف بالملل والسآمة واشتهاء اطلاق السراح من المسجون واشتهاء الوقوف على الحقيقة من الباحث قيم مختلفة تعقبها احساسات مختلفة اذا حصل المشتهى على ما يشتهيه

﴿ الارتباط بين الارادة وبين الشهوة والفكر والاحساس والعمل ﴾

الارادة والشهوة — لو تأملت فى مخاطبات الناس وأصغيت اليهم اصغاء الباحث وقيدت عبارة بعد أخرى من عباراتهم على صفحات قلبك أو فى كتابك الذى هو معد لجمع كل ما تشاهده لوجدتهم يستعملون دائما كلمة الارادة فى مخاطباتهم حتى فى الاحوال التى لا يتحقق فيها معنى الارادة أصلا فترى الوالدة مثلا تسأل ولدها الصغير عما اذا كان يريد

الاستراحة والسكون أو المشى والتحرك أولبس هذا الملبوس أو ذاك مع ان الولد الصغير لا تتحقق فيه شروط الارادة ولا يتصف لذلك بهذه الصفة وانما يتصف بالشهوة لان من شروط الارادة أن يكون المراد معلوماً علما تاماً بخلاف المشتهى وان يتحقق المريد من استعداده للوصول الى الشئ المراد أما المشتهى فلا يدرى أفى امكانه الحصول على ما يشتهيه أولا وان يعرف المريد جميع الموانع والعوائق التى قد تحول بينه وبين المراد ويعرف الوسائل التى تمنع من تحقق تلك العوائق . فمتى فقدت هذه الشروط أو بعضها سميت هذه الصفة شهوة لا ارادة

الارادة والفكر — ولا بد للارادة من سبق الفكر لانه من ضروريات العلم بالمراد الذى هو شرط للارادة ومن لوازم استحضار الوسائل المقتضية والمانعة من الحصول على المراد لان المريد يلزمه أن يتأكد من امكان الوسائل وصحتها وينتخب أقواها وارقاها وذلك لا يكون الا بالفكر

الارادة والاحساس — من لوازم الارادة أيضاً وجود الاحساس لانها تترتب وتبنى عليه فان الرغبة هى السعى وراء

الذى تميل اليه فاذاقامت بك صفة ارادة الأكل أوالشرب مثلا فيلزم أن تكون هذه الارادة مبنية على الاحساس الغير اللطيف بالجوع أوالعطش أوعلى الاحساس اللطيف بذوق الطعام أو الشراب كما انه اذا وجدت لديك رغبة الحصول على مال أومعيشة حسنة أوحصل عندك ميل لمساعدة مصاب أواحسان الى محتاج فيلزم أن تكون كلها ناشئة عن احساس الميل

﴿ اختلاف جهات الارادة ﴾

وللارادة جهات مختلفة حسب اختلاف جهات الاحساس التى منها الاحساس بالجوع أو التعب ومنها الاحساس بالشفقة ومشاركة الغير فى السرور والحزن ومنها الاحساس بالفرح عند ضرر الغير ومنها الاحساس بالحياء أو القوة والصبر — وهذه الاحساسات المختلفة التى تنبني عليها الارادة تدل على أن طبيعة النوع الانسانى لها جهتان مختلفتان . جهة خصوصية لا تستدعي الا سعى الشخص وراء منفعته الخاصة وارادة ذلك وجهة عمومية تقتضى ارادة الخير للغير وبديهى ان الجهة الاولى مذمومة مبغوضة تجب معالجتها والثانية شريفة ممدوحة يجب

الاتصاف بها

﴿ الارادة العقلية ﴾

ان الانسان كما يمكنه أن يشتهى الحصول على جميع الاشياء التى يتصورها كذلك يمكنه أن يريدها ممدوحة كانت أو مذمومة معقولة أو غير معقولة الا انه يستعمل فكره فى حالة الارادة ليعرف الغرض معرفة تامة وكذا الوسائل الموصلة اليه ولو كان مذموما عادة أو ممنوعاً شرعا وليست كل ارادة عقلية وان لزم مصاحبة الفكر لها الا ترى ان الانسان اذا أراد حرق متاعه أو رمى النقود فى نهر فكل شخص يصفه بعدم العقل ويحكم بأن ارادته هذه غير عقلية فالارادة العقلية هى التى يقصد منها النافع أو الامر المقبول عرفا

﴿ الارادة والعمل ﴾

العمل القهرى والاختيارى — ان من الضرورى للحصول على الغرض استعمال القوة الجسمية وتحريك الاعضاء الظاهرية وتسمى الحركة عملا وقد توجد بعض الاعمال بدون أن تسبق بارادة بحيث تكون مصادرها البواعث الطبيعية

والاحساسات والشهوات النفسية كما اذا اشتهى عديم الحظ رمى نفسه فى بئر بدون روية وتفكر أو الاحمق الاسراع وراء العدو بلا تبصر وتسمى أعمالا قهرية أما الاعمال الاختيارية فهى ما تنشأ عن ارادة وقد ينشأ عن الارادة منع الحركة والعمل كما اذا همّ انسان بفعل أمر واتجهت افكاره اليه ثم قوى سلطان الارادة وتغلب على الجسم برجوع السكون الطبيعى له وذلك كصبر من قام به ألم شديد وكسكون المتعدى عليه وعدم فعله مع المتعدى نظير ما فعله معه . فالذى ينشأ عن الارادة بناء على ذلك اما منع سكون الجسم واما منع حركته

﴿ الامور التى تجب مراعاتها بالنسبة للارادة والعمل عند القيام بصناعة التعليم والتربية ﴾

ان تمرين ارادة الطفل وتكوينها تكويناً صحيحاً لمن أهم الاعمال التى تقوم بشأنها صناعة التعليم والتربية . ولذا يجب التنبيه على أمور ينبغي للمعلمين والمربين الاعتناء بها وايفاؤها حقها حتى يكون التعليم مثمراً والتربية ناجحة . منها لزوم التأثير على رغبات الاطفال الذين عزمهم ضعيف وفكرهم غير

ثابت والاجتهاد فى تقويتها وجعلها مقرونة بالعزم الثابت الذى يترتب عليه ضرورة الشروع فى العمل والوصول الى المراد . والمعول عليه فى القيام بذلك حق القيام المدرسة الأولى (الاسرة) اذ هى التى ينطبع جميع أعمالها فى النفس ويرتسم جميع صور تأثيراتها فى ذهن الطفل حيث يكون خالى البال سهل الانقياد والتكوين فهى المطالبة بتربيته تربية صحيحة وبتقويم أساسه وهى الملزمة باحداث جميل الخصال لديه وتكوين مكارم الاخلاق عنده ولا سيما صفة امضاء العزيمة والواجب على القائمات بشؤون هذه المدرسة وهن الامهات والمربيات اذا لاحظن ان أنواع الشعور والاحساس التى توجد عند الطفل لاول مرة قد صارت أنواع شهوة واستحالت الى أنواع نفور مختلفة الكيفية وأخذت تستخدم القوى الجسمية لارضائها أن يجبنه الى مطلوبه ولا يمنعنه عن الحصول على مايشتهيه ولكن يرشدنه مع ذلك الى الطريق القويم نوع ارشاد حتى يحس وحده بمضرة الشهوة المذمومة ويعرف الفرق بينها وبين الشهوة الممدوحة والارادة العقلية فتحل هذه المعرفة عنده محلا ثابتاً ويعمل بمقتضاها دائما

فان خير المعلومات مايأتى الى الطفل من نفسه لا من غيره .
والواجب عليهن أيضاً ان يوضحن له الاشياء والغرض منها
ليحدث عنده تصور واضح لا التباس معه ولا خفاء فيه .
واذا أتى الوقت الذى يذهب فيه الولد الى المدرسة الثانية وهى
مدرسة التربية والتعليم معاً وجب على القائمين بأمرها أن
يجبروا الخلل الذى فى معلوماته ويكملوا مانقصه بتوضيح
المبهم عليه فتنكشف بذلك حقيقة التصورات القديمة التى
اكتسبها من المدرسة الاولى وتتكون عنده تصورات وافكار
جديدة كما يجب أن يكون تعليمهم مقنعاً موفيا باميال
الطالب ورغباته فى الوقوف على حقائق الاشياء ومعرفة
الغرض منها فاتحا له أبواب الاشياء النافعة والامور المفيدة
حتى لا يريد ولا يعمل سواها باعثاً على اتصافه بجليل الصفات
ومحامد الاخلاق كالصبر والمثابرة على العمل والتفكر فى
حقائق الاشياء وانجاز الاعمال . واذا رأى الطالب ان استاذه
متصف بهذه الصفات كان ذلك ادعى الى تربيتها عنده لانه
يعتقد ان المعلم من اكمل الناس وأحسنهم خلقاً فيضطر الى
تقليده والاتصاف بصفاته — ومنها — تعويد الطفل على انه لا يريد

الا ماهو مستحسن عرفاً . وذلك يكون ببعث تصوراته دائما نحو الاشياء المستحسنة وتوجيه أفكاره الى الامور المحمودة فتدب فيه روح الادراك السليم ويعرف المستحسن ويريده ويعمل به . ولكن يلزم لحصول هذه المبادىء عنده على الوجه الاكمل ان تنشأ عنده من نفسه بمساعدة المربى وارشاده فقط وان يعتاد على الاستقلال فكراً وعملا بحيث يفكر ويبحث وحده عما يخفى عليه ويعمل بنفسه . فلا يجوز للمعلمين ان يكثروا من ايراد الافكار الاجنبية على نفس الطالب ويضربوا عليها الحجر حتى تكون منقادة لهم الانقياد المطلق وبذا يقلبونها كيف يشاؤون لأن هذا يضرها فى المستقبل ضرراً عظيما اذا حان الوقت الذى يلزمها ان تشتغل فيه وحدها بل الواجب عليهم ان يجتهدوا فى توضيح محال الانتقال من تصور الى آخر ويسعوا فى ايجاد العلاقات والارتبطات التامة بين جميع التصورات ويبذلوا همتهم فى احياء أفكار الطلبة ويحثوهم على البحث عن الحقائق من أنفسهم — ومنها — تمرين الطفل على العمل الذى يجرى على نظام مخصوص وقاعدة معلومة فان العمل من حيث هو يتسنى له من حين الخلقة لانه

يولد متصفاً بالحركة الطبيعية كحركة الرضاع وغيرها . ولاجل أن يعمل حركات مخصوصة اذا كبر بحيث تكون على مقتضى احساسات وتصورات معلومة كحركات الكتابة والقراءة يلزم ان يمرن على مثل هذه الحركات مرة بعد أخرى حتى تصير الارادة والحركة أمراً واحداً وتمتزجا ببعضهما امتزاجاً تاما وبذا يمكن حصول أعمال كثيرة من هذا النوع مرتبطة ببعضها ودائرة على محور مخصوص بدون ان تسبق بباعث طبيعي أو ارادة فى أى لحظة نعم يحتاج الى الارادة لابطال الحركة عند قرب انتهاء العمل والوصول الى الغرض . فبواسطة التمرين وتكرير العمل تصير التصورات والحركات عادة فيحصل تولد التصورات الثانوى وتسهل حركة الاعصاب كثيراً وتصير سريعة . وتصلح الكتابة مثالا لصيرورة التصورات والحركات عادة بواسطة كثرة التمرين لان تصورات كتابة الحروف والمقاطع ترتبط ببعضها فى ذهن المتعلم بواسطة التكرار ارتباطا تاما وتصير كأنها تصور واحد حتى ان الواحد منها يجر غيره بدون مساعدة شىء آخر ولذا يظهر للانسان بعد كثرة التمرين والتصور ان جميع مايلزم

للكتابة من تصورات المعانى والحروف والحركات أمر واحد مع انها أمور كثيرة كما رأيت . ومثل الكتابة التكلم فيلزم المرضعة بناء على ماتقدم ان تؤثر على جميع حركات الرضيع من جهة رضاعه وقضاء حاجته ونظافته فان ذلك يفيده فائدة عظيمة فى كبره . ويجب على المربية أن تجتهد فى تكييف حركات الولد الطبيعية بكيفية مخصوصة وتسعى فى تعويده اذا رأت انه يتناول كل شىء يراه ويمزقه ويخبط بيديه ورجليه على الارض عند غضبه على العوائد الحسنة وجعل جسمه خاضعاً لقوة نفسه ومنعه من مثل هذه الحركات . واذا أراد المربى والمعلم ان يعوّدا ولداً على النطق الواضح والتكلم الصحيح يجب عليهما ان يفعلا معه مايعمله الخطيب أو الواعظ أو القاضى اذا أراد التكلم بخطاب بليغ فبعض الحركات يلزم عدم فعله والبعض الآخر يجب تمييزه عن غيره وفصله عن الحركات المجاورة له وبعض الكلمات يلزم رفع الصوت عند التكلم به والبعض الآخر يجب له ضد ذلك وهكذا . والوضع الاصلى لكل جسم دخل وشأن في التعود لان من الناس من هو ذو قريحة وقادة ومنهم من هو ضعيف الفكر ومنهم من هو ذو

وجهة واحدة

﴿ الشغل وأقسامه وشرطه ﴾

(والفرق بينه وبين اللعب)

ان أهم مقاصد التربية ووسائلها الشغل لانه مدرسة الارادة . وهو ينقسم الى قسمين شغل جسمى يدوى وآخر نفسى عقلى فالاول كتركيب البناء الاحجار على بعضها على وجه مخصوص والثانى كرسم المهندس صورة المحل المراد بناؤه وتنظيمه أوضاعه بمعونة الطرق الهندسية العقلية وكحل الطالب مسألة حسابية أو انشائه مكتوبا لاحتياجه فى كلتا الحالتين الى شغل فكره وعقله . الا أن هذا التقسيم ليس حقيقيا لان كل شغل جسمى صحيح يجب ان يكون مسبوقا بشغل فكرى وهذا يكون مقرونا غالبا بالشغل الجسمى والا كان عاريا عن الفائدة والثمرة المقصودة منه . وبديهى ان الاشغال الجسمية تحدث تغيراً فى أجزاء العالم الخارجي والاشغال النفسية ينشأ عنها انقلاب فى أجزاء النفس وتغير فى العلم والمعرفة مع سير الفكر نحو غرض مخصوص ومرمي معلوم مستخدما

الاعضاء الجسمية . ألا ترى ان الولد اذا أراد تكوين جملة أو جمل أوانشاء مكتوب يستعمل فكره ويجمع تصوراته المتعلقة بالجملة اوالموضوع الذى يريد انشاءه ويخلى فكره من جميع ماعدا ذلك من التصورات والمعلومات فاذا شرع فى كتابة دوال المعانى المرتبطة ببعضها استخدم الجسم بصنعه الحركات المخصوصة المنتظمة . ولا بد لتتميم الاشغال النفسية على الوجه الاكمل من الالتفات والاجتهاد لان الاول هو الذى يدير حركة تغير الافكار ويحفظ التصورات من الزوال ويدبر أمر حركات الجسم واعماله والثانى يؤدى الى المداومة على العمل الى أن يحصل الغرض ويتم المراد . فالشغل على حسب ماتقدم من التوضيح هو حركات التصورات والاعضاء المخصوصة المقرونة بالالتفات والاجتهاد للوصول الى غرض مخصوص على حسب قانون معلوم . والفرق بينه وبين اللعب انه ينشأ عن ارادة ويكون مسبوقا بافكار صحيحة ويراعى فيه نتائج مخصوصة بخلاف اللعب خصوصاً من الاطفال اذ ليس لهم غرض مخصوص منه وانما هى حركات تصدر عنهم وليست أعمالا مقصودة لغيرها فهنا يتغلب الخيال وهناك

﴿ تعويد الاطفال على الشغل وتربيتهم لذلك وما يجب على الوالدين والمربين والمعلمين ﴾

أما نوع هذه التربية فيختلف حسب اختلاف أنواع الشغل اذ بعضه يقع على الارض كحرثها وزرعها وبناء المساكن عليها وبعضه يتعلق بالاجتماعات والهيئة العمومية كاشتغال القاضي باصدار الاحكام والطبيب بمداواة المرضى وتشخيص الداء ووصف الدواء وبعضه يختص بالتهذيب كاشتغال المربي بالتربية والمعلم بالتعليم والتلميذ بانجاز أشغاله المدرسية وغير ذلك من الاشغال التي تتعلق بتهذيب النفس . والذي يهمنا التكلم عليه هنا من أنواع التربية هو تعويد الاولاد على الاشغال المدرسية . فالواجب على المربي والمعلم أن يراقبا الولد ولا يدعاه يهمل أشغاله ويحثاه دائما على الاسراع بانجازها . وعلى الام والاب أن يحفظا ولدهما بالمنزل ويشغلاه بما ينمي عقله ويقوى فكره ويحيي قوته التخيلية ولا يمكناه من ترك هذا الشغل الا اذا وجد مقتض لترويض جسمه واراحة فكره

وعقله كما ان عليهما أن يمنعاه عن الاشغال اليدوية وهو صغير كالحياكة والخياطة وما شاكل ذلك لأن ذلك يضر به جسما اذ أن بعض الاعصاب قد يجد في العمل والبعض الآخر قد يحصل له فتور فيضعف هذا ويقوى ذاك ونفسالانه يمنعها عن الاشتغال فيترتب على ذلك اماتتها وعدم استعدادها للتفكر ولا يخفى ماينتج عن ذلك من تربية الكسل عنده وحب البطالة . ويوجد عند كثير من الاولاد ميل الى أن يكونوا نافعين للهيئة الاجتماعية ولهم أعمال جديرة بالذكر لوجود باعث طبيعي عندهم يدعوهم الى الحصول على الشرف فتراهم يفرحون اذا كلفوا بعمل يعترف الناس بقيمته ويجدونه نافعاً مفيداً ويقدرونه قدره . فالواجب على الوالدين ان يلتفتا لهذه الاشارة ولا يهملاها وان يغتنما هذه الفرصة ولا يضيعاها وان يكونا أول منشطين لولدهما على الشغل اذا رأيا منه الميل الشديد اليه

﴿ طور الولد ﴾

والولد طوران مختلفان ينبغي التنبيه عليهما . الاول طور اللعب والتربية وينتهي بانتهاء السنة الخامسة ولا يخفى ان للعب

قيمة عظيمة وفائدة كبيرة تعود على الولد لانه اذا وقف فى ميدانه لا تمضى عليه لحظة حتى تمر عليه فرص كثيرة لشغل جسمه وفكره وحصوله على تجارب عديدة ومشاهدات كثيرة تجعل مخيلته ذات معارف عظيمة وكنز لا يفنى . ويحسن أن يشغل أيضاً فى هذا الطور من ابتداء السنة الثالثة برؤية الصور اللطيفة والمناظر الجميلة التى يجدر ان تجمع فى كتب مخصوصة تعد للاطفال لان احساسات الحسن تتولد عنده فى السنتين الثالثة والرابعة من عمره وتنمو قوة التخيل نمواً سريعاً فاذا لم يترك الطفل وشأنه جمعت مواد كثيرة تفيدها فى المستقبل وأول من نبه على ذلك الاستاذ افريبل الالمانى وسماه « كندرجارتن » . الثانى . طور المدرسة والشغل ويبتدئ من السنة السادسة من عمر الولد ففيه يكلف باداء أشغال كثيرة وواجبات عديدة . منها . الجلوس فى المكتب ساكناً منتظما اذ أن هذا عمل عظيم وشغل صعب بالنسبة له فهو لذلك يحتاج الى اجتهاد كثير . ومنها . الانتباه والتفكر وتعلم الاشيا. اليدوية الفكرية كالرسم والخط . ويجب على المعلم أن يجتهد فى تربية ملكة الاستقلال بالعمل عند الطالب وينفخ فيه روح

الميل الى الموضوع الذى يشتغل به لأن التعليم الحقيق لا يثمر ثمرة مفيدة الا اذا بعث التلميذ الى الاستقلال وأدّى الى الرغبة فى التعلم وأحدث لديه روح الانتباه والاجتهاد ونشأ عنه فرحه بالشغل أكثر من سروره باللعب وبلغه الى درجة يمكن عندها أن تستقل قوته النفسية التي تستقبل ما يلقى اليها وان تضع ما تعلمته فى قالب آخر . ومتى تسنى للمعلم الماهر أن يأخذ بمجامع افكار التلميذ ويجعل قواه الداخلية منقادة له رأى أن عينه قدشخصت ونفسه الى الشغل قد مالت أما اذا لم يتأت له ذلك فلا يرى امامه الاشبحاً كسلا يساق الى العمل كما يساق الثور الى الناعورة بالضرب بالعصى . فأول شيء يطالب به المعلمون تعويد التلميذ على الاجتهاد والالتفات ونظام الاعمال والمثابرة عليها اذ بذلك يثمر عمله ويحكم افكاره وجسمه بارادته

﴿ التعب والراحة وبيان سير التعليم ﴾

ان الانسان اذا اشتغل بجسمه وبذل فى العمل جهده ووجه اليه فكره يفقد جزءاً من قوته ويترتب على ذلك تعبه

فيفتقر الى استعاضة ما فقده ويضطر الى تغيير خطة العمل باراحة نفسه من مشاقه واستنشاق الهواء النقى وتعاطى الطعام المناسب من جهة واطلاق سراح الفكر من قيد التفكر من جهة أخرى ويلزم عدم تكليف الصبى بكثير من الاعمال المتعبة لانه محتاج فى زمن طفوليته الى نمو جسمه واستنشاقه كثيراً من الهواء اللازم لصحته . ولذا يجب أن يكون سير التعليم هكذا . فى السنين الاول المدرسية تكون مدة التعليم أسبوعياً ١٢ ساعة فقط وفى الاوقات الاخيرة لا يجوز أن تزيد عن ٢٨ ساعة ويجب تغيير مواد التعليم واراحة الاولاد زمناً ولو قليلا بين ذلك لان التعليم الذى يبقى على حالة واحدة يحدث لديهم ملالا ويؤدى الى تعبهم وفتور قواهم خصوصاً اذا طال زمنه

﴿ تكوين ارادة الفضائل وما يلزم فعله عند التربية بالنسبة لذلك ﴾

ن من أهم الاشياء التى يلزم الاعتناء بها عند التربية تكوين ارادة الفضائل وجعل التصورات والاحساسات

والادراكات قوى خاضعة للارادة ومنقادة لحكمها حتى تقوى احساسات الفضائل وارادتها على ضدها الا انه لما كانت احساسات الرذائل أكثر من احساسات الفضائل وسابقة عليها احتاج تغلب ارادة الفضائل على ضدها الى معالجة قوية انجحها أن لا يصدر من المعلم او المربى فى جميع حركاته وسكناته امام الولد الا أنواع الكمالات وأن يأمره وينهاه ويوعده بالعقاب ويعده بالجزاء الحسن ويمدحه اذا عمل حسناً ويذمه اذا فعل قبيحاً ويحكم على عمله وارادته ويظهر له ان الطيب جدير بالثناء وضده مستوجب للوم والتأنيب اذ بذلك يرسخ فى ذهنه ان قيمة المرء لا ترتفع ولا تنحط الا بالعمل ولكن لا يجوز الاكثار من المدح والذم لانه يترتب على كثرة الاول احداث احساس الفخر والكبر عند الولد وعلى كثرة الثانى سقوطه عند نفسه واعترافه بانحطاط قيمته بين أقرانه فينشأ عن ذلك اليأس والقنوط وضعف القوة ووهن العزيمة واذا لم يكن هناك مندوحة عن الاكثار منهما وجب أن يكونا غير شخصيين فلا يقول المربى للطفل أنت نظيف ومجتهد مثلا بل يقول هذا الشغل نظيف وهذا العمل عمل مجتهد فبذلك يعتاد

الولد على صفة الفضيلة من حيث ذاتها

السجية ﴿ الخلق الثابت ﴾

ان للسجية تعلقاً تاماً بالارادة بل ربما يشتبه الامر على بعض الناس فيخطر على باله انهما أمر واحد مع ان الامر ليس كذلك لان الارادة صفة قائمة بالانسان وتظهر الى الخارج بمظاهر مختلفة عند كل عمل أما السجية فانها تثبت على صفة واحدة عند اختلاف الاعمال التي تتعلق بها ارادة الانسان الماضية والمستقبلة فعلى هذا لا يصح وصف الطفل بالسجية اذا رغب في أمر واستمر على ميله وحافظ على بغيته زمناً طويلا . وليست السجية ممدوحة الا اذا كانت سجية فضائل وهي التي تسير على منهج الارادة العقلية وسبل احساسات الفضائل بأن يكون المتصف بها من طبعه الاجتهاد والتواضع والنظافة والصدق ومساعدة الضعيف وحكم النفس وهلم جرا فمتى سلك الشخص مسلكا مخصوصاً واحداً وعلم أن قيمة الفضائل والعوائد المستحسنة عرفاً أرقى وأرفع من غيرها وعمل بمقتضى علمه صدق عليه انه متصف بالسجايا الحميدة

﴿ تكوين الخلق ﴾

ان قيمة الشخص ومنزلته بين أقرانه وبنى زمانه مرتبطة بحال خلقه لا بغناه ولا بدرجة مركزه ورتبته فقد يكون الشخص من ذوى الثروة والسعة أو من أصحاب الرتب والدرجات الرفيعة الا انه لا قيمة له عند الناس ولا اعتبار له بين الاخوان والاقران وقد يكون الشخص فقيراً معدماً أو متوسط الحالة لا يملك الا ما يفى بحاجاته غير ان مقامه رفيع ومنزلته سامية عند معاشريه ومركزه عال عند من يعرفونه حتى اذا سار بينهم أشاروا اليه بالبنان ونطقت ألسنتهم بكونه ذا خلق حميد وعزم ثابت ولذا كان تهذيب الخلق والرأى وتقوية الارادة عند الاطفال من أرفع مقاصد التربية ولا يحصل ذلك على الوجه المطلوب الا اذا راقب المربى الطفل من صغره وأثر على لعبه وجميع أحواله فى حالة طفوليته الى أن يكبر مع كونه ذا مهارة فى هذه الصناعة بحيث يسلك مع من يربيه مسلك الطبيب مع من يداويه فيراعي جميع أحوال شخص الطفل وزمنه ومكانه ووطنه وأمته التى ينسب اليها ليمكنه

الوقوف على حالة ترتبط بها أعماله وتستند عليها تأثيراته حتى تعتمد تربيته على أساس متين وتؤسس على أصل قويم بحيث تأتى من الوجهة الطبيعية أما اذا لم ترتبط أعمال التربية بأحوال الطفل الأولى الطبيعية بل تخطاها المربى وشرع فى تكوين الفضائل والامور العقلية فان التربية لا تنجح ولا تفى بالغرض المقصود منها

﴿ حرية الارادة ﴾

من المشاهد بالعيان والمقرر فى الاذهان في جميع الامكنة والاوقات وسائر الاحوال أن من يريد شيئاً يمكنه أن يعدل عن ارادته ويحجم عن المراد ويميل الى ضده فليس الشخص بالارادة ملزما ولا مجبورا على أن لا يتحول عن المراد بل هو مطلق العمل حر التصرف فاذا أراد انسان أن يكذب مثلا يمكنه فى لحظة العزم على الكذب أن يتصور الصدق وحينئذ يجوز أن تنصرف ارادته عن وجهة الكذب الى وجهة الصدق واذا أراد آخر أن يعمل أمراً مستحسناً يجوز أن يطرأ على تصوره تصور آخر فتتغير ارادته وهكذا يمكنك فى جميع

الاحوال أن تضع تجاه أى تصور تصوراً آخر فاما أن تستحسن الاول فتبرزه من عالم القوة الى عالم الفعل أو تستقبحه فتعرض عنه . فعلى حسب ما تقدم يوجد أمران وعملان عند حصول أى ارادة . الاول منهما تصور الامر المرغوب فيه وتصور ضده كتصور الصدق عند تصور الكذب وتصور القبيح عند تصور الحسن وتصور الفضيلة عند تصور الرذيلة . والثانى الميل الى أحد التصورين بعد الروية ثم انفاذ المراد

﴿ آراء العلماء فى شأن حرية الارادة ﴾

وقد اختلفت العلماء فى شأن حرية الارادة فمن قائل بعدم حريتها ومن قائل بحريتها . فالفريق الاول يقول ان دعوى حريتها تستدعى بطلان قانون السببية والمسببية وتستلزم عدم صحة القول بوجود ارتباطات وعلاقات بين الاحوال النفسية ويقول الفريق الآخر ان ماذكره علم الطبيعة من ضرورة وجود السببية والمسببية لايمكن اثباته بالنسبة للعالم النفسى ولا يصح قبوله بدون دليل . على انه يلزم على القول بعدم

حريتها ان يكون الانسان مجبوراً على اعماله غير متصف بعمل أصلا . وحينئذ تكون جميع صفات الفضائل من ايمان وامانة وصدق وتواضع وغير ذلك هبات وليس للانسان عمل اصلا في الاتصاف بها وفضلا عن ذلك فالعهدة والضمان وماشاكلهما لايتحقق لها أثر ولا يظهر لها معنى الا اذا قيل بحرية الارادة لأن الذى يفعله المرء أو يريده اذا كان محتم الوقوع البتة فليس من العدل اذن ان يجازى بالعقاب الذى يترتب على فعله ماهو ممنوع منه ولا ان يلزم ببذل العوض عند اتلافه شيئاً ولا ان ينسب اليه ذنب أصلا لانه قد ابتلى بجسم مستعد للتأثر استعداداً قويا

﴿ ارتباط العالم النفسى ببعضه ﴾

ان سرد العناصر النفسية وذكر كل من أجزاء العالم النفسى على حدته على حسب الكيفية التي سلفت لمحتاج اليه صناعة علمية وتأليفا ليتصور القارئ جميع أجزاء هذا العالم تصوراً واضحاً ويكتسب صورة واضحة من المجموع بعد ان يعرف الاجزاء الا انك لو نظرت الى الجهة الحقيقية لوجدت

ان جميع الاجزاء مرتبطة ببعضها ارتباطا تاما

﴿ ارتباط المعرفة بالاحساس والارادة ﴾

فالمعرفة التى تحدث بواسطة الشعور والتصور كما سبق فى (ملحوظة ص ١٠) ترتبط بالاحساس والارادة لان الاحساس هو الواسطة العظمى فى بقاء التصورات محفوظة فى قوة التذكر وهو الذى يبعث الى البحث عن الحقيقة ويدعو الى اتباعها والسير وراءها والتنقيب عنها بغاية الدقة والاعتناء لانه يقدر قيمة المعرفة قدرها ويرفع شأنها عند الانسان فيتجه فكره الى وجهة مخصوصة ولولاها لسلم نفسه الى قهر التصورات الجارى يقلبه فى أمواجه كيف يشاء فيروح ويغدو ولا قدرة له على مقاومة تياره . أما ارتباط الارادة بالمعرفة فمن حيث مساعدتها على الوقوف عند تصورات مخصوصة أيضا حيث توجه الانتباه الى جهة مخصوصة وهى الاهتمام بامر معلوم

﴿ ارتباط الاحساس بالتصورات والارادة ﴾

ولا يكون للاحساس شأن وقيمة الا اذا ساعدته التصورات والارادة لان الاحساسات فى ذاتها غير واضحة

ولا معلومة وانما تتميز عن بعضها ويمكن تذكرها عند فقدها بواسطة التصورات وارتباطها ببعضها وكذا لا يمكن حفظ الاحساسات الرقيعة كاحساسات الفضائل من التشتت والخفاء الا اذا اتجه الفكر اليها وجعل التصورات المتعلقة بها ذات كيفية مخصوصة . أما الارادة فترتبط بالاحساس من جهة منعها حصوله اذا كان غير موجود وتغلبها عليه عند وجوده اما بواسطة منع الحركات التي يظهر الهياج الاحساسيّ بمظهرها واما بواسطة طرد التصورات المنسوبة الى الاحساسات فيتأتى لمن يقوم به احساس الغضب أن يتغلب على غضبه اذا ملك نفسه ومنع الحركات والآيات التي يظهر الغضب بمظهرها من الظهور . ويمكن نسيان الحزن الشديد وأسبابه اذا انتقل الحزين الى عالم آخر من التصورات غير العالم الذي كان محيطاً به حين الحزن وزالت جميع الاشياء التي من شأنها أن تذكره بما نشأ الحزن عنه

﴿ ارتباط الارادة بالاحساس والتصور ﴾

ولا يتأتى حصول الارادة أصلا الا بواسطة الاحساس

والتصور لان الارادة تحتاج الى غرض يجعله احساس الميل ذا قيمة مخصوصة ويتوصل اليه بواسطة التصور الذى يجعل مجموع أعمال الارادة مشخصاً أمراً ثابتاً غير متغير بتموثة الاسباب والوسائل التي يوجدها فتقود الارادة نحو الطريق المستقيم والغرض المطلوب

فعلى حسب ماتقدم من البيان ترتبط جميع أجزاء العالم النفسي ببعضها ولكن يقوى بعضها على البعض الآخر عند بعض الاشخاص فى بعض الازمنة فتارة يقوى الاحساس وأخرى الارادة أو التصور . وبهذا السبب تختلف أحوال الناس وصفاتهم فمنهم المتصف بالفكر ومنهم المتصف بالاحساس ومنهم المتصف بالعزم والعمل غير ان المحافظة الدائمة على التعادل والتوازن وتربية التوافق والتماثل بين جميع جهات نفس الانسان هى الصورة العليا والشكل الأتم

﴿ القسم الثانى ﴾

﴿ يشتمل على مباحث تتعلق بحقيقة النفس وغير ذلك ﴾

اذا أردنا ان نبين ضمن ماسيأتى من المباحث حقيقة

النفس ومحلها فليس هذا لكوننا نعتقدان مثل هذه المحاولات تؤدى الى نتيجة معقولة مقبولة بل لنوفى بذلك جميع مباحث علم النفس حقها فى هذا المختصر لاننا قد بينا فى القسم الأول جميع الظواهر النفسية وتركنا التكلم على حقيقة النفس التى تنسب اليها تلك الظواهر وارجأناه الى هذا القسم لتكون الطريقة التى اتبعناها هنا كالطريقة المتبعة فى علم الطبيعة اذ أنه يبحث هناك أولا عن الظواهر الطبيعية كالحضرة والذبول والنمو والاضمحلال والحرارة والبرودة والضوء والظلمة والبرق والرعد وغير ذلك من الظواهر التى تتغير من حالة الى أخرى ثم يبحث عن موضوع هذه الظواهر المتغيرة

﴿ وجود النفس ﴾

لو نظرنا الى الظواهر الداخلية كالشعور والتصور والتذكر والتعقل والاحساس والباعث الطبيعى والشهوة لوجدنا انها اوصاف تفتقر الى موصوف واعراض تحتاج الى أمر تقوم به وتنسب اليه كقيام الخضرة والذبول بالنبات والحرارة والضوء بالشمس لانه كما لا يعقل كون العالم الخارجى عبارة عن مجرد

التغير ولا يمكن وجود وصف بلا موصوف ولا حركة بلا متحرك ولا تغير بلا متغير لا يدرك أيضاً كون العالم الداخلى عبارة عن مجرد التصورات والاحساسات مثلا بل لابد من وجود أمر آخر ينسب اليه هذا العالم الداخلى وهو النفس التى لاتشاهد بالبصر كما يشاهد الجسم

﴿ أوصاف النفس ﴾

ان أوصاف النفس كثيرة . منها عدم قابليتها للتجزئة فجميع أحوالها تجتمع مع بعضها فيها وتنسب اليها نسبة الامور الكثيرة الى أمر واحد بسيط فليس السمع حاصلا فى جزء والرؤية فى جزء ثان والتصور فى ثالث والاحساس فى رابع وهكذا وليس هناك تأثير تبادلى بين هذه الاجزاء وبعضها ولا بينها وبين جزء آخر فى النفس ممتاز عن باقي الاجزاء بواسطة تأثيره عليها وجعلها قوة فعالة خلافاً لمن قال ذلك لعدم وجود دليل مسلم يدل عليه . ولكون تصور بساطتها وعدم تجزئتها مخالفا لتصورات ماعداها قال الفيلسوف الشهير كنت ان دعوى كون النفس ماهية بسيطة لادليل عليها بل هى غير

معقولة ولا مقبولة لان البسيط لا يقبل الاتصاف بأوصاف المركب مع انا نتصور جميع الاشياء مع الوقتية والمحلية وبناء على ذلك قال بعضهم بضرورة امتداد النفس والا لا يمكنها تصور المحلية وان نقض ذلك بعدم لزوم ارتباط بين امتداد المحل الذى تقوم به التصورات وامتداد المتصور. ومنها كونها غير محلية ولا ناشئة عن مادة لان كل جسم مادى ولو صغيراً جداً قابل للتجزؤ الى أجزاء مختلفة تتميز عن بعضها باختلاف جهاتها ككون البعض فوق والبعض الآخر تحت وهكذا. ومنها نموها وارتقاؤها اذا طرأت عليها التأثيرات الخارجية وقابليتها لذلك كل وقت. وهذا الوصف له شأن عظيم بالنسبة لعلم صناعة التربية والتعليم وقد انكره الفيلسوف هربارت فاضطر الى سلوك مذهب آخر لاجل تأثير التربية على نفوس الاطفال

﴿ ماهية النفس والآراء التى قيلت فى شأنها ﴾

قد اختلفت الآراء فى شأن ماهية النفس فمن قائل بانها معروفة لان جميع أحوالها الداخلية من شعور وتصور

واحساس تعتبر كمرآة تشاهد فيها طبيعتها وماهيتها ومن قائل بعدم معرفتها الى غير ذلك . وسنأتى هنا بأهم الاقوال وهى القول بالمادة والقول بالنفسية . والقول بالتثنية . والقول بالوحدة

﴿ القول بالمادة ﴾

المراد منه كون جميع الاحوال النفسية ترجع الى العالم المادى وتنشأ عنه حتى انه لافرق أصلا بين الظواهر الجسمية والنفسية من حيث المنشأ فيولد المخ افكاراً واحساسات وحركات على حسب اختلاف ارتباط الاعصاب ببعضها نوعا وكيفية

﴿ شبهة القائلين به ﴾

وكأن شبهة القائلين بذلك أنهم شاهدوا ارتباطاً تاماً بين بين العالم النفسى والمادى أو بعبارة أخرى بين المعرفة والمخ فبنوا على ذلك ان النفس ليست الا صورة الاعمال الجسمية أو نتيجة عنها

نقض هذا القول

ولكن هذا القول منقوض بانه ليس من المعقول حصول حالة نفسية عند تحرك جملة من ذرات المخ ولا جعل اهتزاز الاعصاب والمخ نفس الشعور ان قلنا بان هذا مسبوق بذاك لعدم وجود شعور فى الاهتزاز وعدم حصول اهتزاز فى الشعور ولان القوى المتحركة لا ينشأ عنها الا حركات أو أحوال محلية ووقتية كما ان الحركة لا يحدث عنها الا حركة أخرى فان نشأ عنها أمر آخر كان ذلك لسبب آخر على اننا اذا جارينا القائل بالمادة ووافقناه معني وقلنا بان الاحوال النفسية مشروطة بالاشياء الطبيعية لا نسلم لزوم كون الثانية سببا فى حصول الاولى لان الشرط غير السبب كما لا يخفى

الاعتراض الذى يوجهه القائل بالمادة على غيره

نعم للهادى أن يقول ان المؤثرات التى تؤثر علينا على نوعين نوع يحدث تغيراً فى الجسم بواسطة أسباب مادية وآخر يحدث تغيراً فى النفس وأحوالها فلأى شىء يقال ان ذلك بواسطة أسباب جسمية لا نفسية

القول بالنفسية

المراد منه ان كل ما تشاهده مكون من نفوس اما الاجسام والمواد فليست إلا نتائج نفسية تظهر الانوية بمظهرها وهذا القول بالنسبة للقول بالمادة القاضى بأن الاحساسات هى الامور الحقيقية وماعداها ناشىء عنها على طريق تقيض

شبهة القائلين بهذا القول

وكأن شبهة القائلين بهذا القول ان الانسان لا يوجد لديه سوى تصورات لا تدل الا على النفس المتصورة وتقضى بعدم جواز اعتقاد وجود شيء آخر من العالم سوى النفوس وتصوراتها وللنفوس أن تولد تصورات أخرى لكونها حرة العمل مطلقة التصرف ومن ضمن هذه التصورات تصور الجسم والمادة الذى يعتبر أول أعمالها فالنفس هى السبب الاصلى لجميع الاجسام وليست معرفة ماهيات الاشياء سوى معرفة الشخص نفسه التي تؤدى الى معرفة جميع العالم معرفة تامة

﴿ نقض هذا القول ﴾

وهذا القول منقوض بأنه لايعقل وجود فاعل ذى عمل مطلق سوى البارئ جلّ وعلا فمن الضرورى اذن اعتقاد كون جميع أعمال النفس وأحوالها ناشئة عن التأثيرات الخارجية ومرتبطة بمجموعة منتظمة عصبية تنسب الى الجسم

﴿ تعديل هذا القول ﴾

ولما رأى اتباع هذا المذهب أن النفس ليست السبب الوحيد الحقيق فى حصول التصورات احتاجوا الى تعديله حيث نسبوا للجسم وجوداً مستقلا الا انهم قالوا انه اكتسب صورته وشكله بواسطة قوة النفس . وقال بعض المعدلين له ان الجسم وان كان مستقلا عن النفس لكنه مكون من مواد كثيرة تماثل النفس كيفية وعملا وقوة . وهذا التعديل قد فرّع هذا المذهب الى مذهبين آخرين وهما القول بالتثنية والقول بالوحدة

﴿ القول بالتثنية ﴾

المرادمن هذا القول ان الجسم والنفس ماهيتان مختلفتان

تؤثر كل واحدة منهما على الاخرى بدون وجود أمر مشترك بينهما فالنفس ماهية عارفة مفكرة بسيطة والجسم غير عارف وذو شهوات وامتداد

﴿ شبهة القائلين بهذا القول ﴾

وكأن شبهة القائلين بهذا القول انه توجد ظواهر نفسية (١) وطبيعية (٢) غير متشابهة ولا متماثلة ولا شك ان اختلاف هذه الظواهر يستدعي وجود أمرين مختلفين وهما الجسم والنفس

﴿ نقض هذا القول ﴾

وهذا القول منقوض بأنه لا يعقل تأثير الجسم والنفس على بعضهما اذا كانا مختلفين اختلافا تاما ولا علاقة بينهما اصلا لانه على حسب هذا القول لو اجتهد المشرحون كل الاجتهاد لما عثروا أصلا على موضع تقف عنده الاعمال التشريحية وتتحول الى نوع آخر من الاعمال . وقد كان هذا المذهب

---

(١) كالامور العقلية (٢) كالشر والغلط

مشهوراً جداً زمناً طويلا ثم عدّله ديسكارت (أنظر تحت)
وردّ عليه اسبينوزا وأدي هذا الرد الى ماسيأتى

﴿ القول بالوحدة ﴾

لما رأى ديسكارت الشبهات الواردة على القول بالتثنية أراد الفرار منها بما أوضحه من وجود حقيقتين مختلفتين أولاهما النفس التى هى ماهية عارفة مفكرة وهى عبارة عن الخالق (جلّ شأنه وتعالى عن ذلك علواً كبيرا) . وثانيتهما الجسم الممتد ثم عدل عن هذا التقسيم الثنائى معترفا بوجود حقيقة أخرى غير النفس والجسم وهى الله تبارك وتعالى ثم أعرض ونأي عن هذا التعديل فى آخر أمره حيث قال بعدم وجود هذه الحقيقة الثالثة أصلا وبأن الجسم والنفس ليسا مختلفين الا بالاعتبار حسب اختلاف أوصافهما ووافقه بعضهم على بعض آرائه حيث ذكر ان الجسم والنفس ناشئان عن أمر آخر رفيع مطلق التصرف ليس جسما ولا نفساً ويمكن أن يصير أحياناً نفس الاثنين

﴿ خفاء المراد من هذا المذهب وتعديله من قبل ليبنيس ﴾

ولما كان المراد من هذا المذهب خفياً كما ترى عدّله ليبنيس وشكله بشكل آخر حيث قال بوجود حقيقة رفيعة مطلقة التصرف تتحلل وتتركب من ماهيات كثيرة وهي عبارة عن مواد بسيطة غير قابلة للفناء وعندها استعداد للتصور والارادة وبأن جميع الماهيات المركبة سواها تتركب من مواد بسيطة منحطة وتوجد بينها مادة رفيعة وهي النفس الانسانية . ولا تؤثر هذه المواد على بعضها بل تنشأ أعمال كل واحدة من نفسها . وقد وافقه على ذلك هربارت حيث قال ان العالم مكون من مواد كثيرة بسيطة غير فانية ولا نعلم شيئاً منها بواسطة التجارب والمشاهدات سوى نفسنا التي لا تتغير كباقي الاشياء الحقيقية

﴿ تعديله فى الاوقات الاخيرة ﴾

وقد عدّل فشنر وفندت وهوفدنج هذا القول فى الاوقات الاخيرة بأن النفس هى الوجود الداخلى للوحدة التى

نراها خارجاً وبأن الشيء الواحد يعبر عنه بتعبيرين مختلفين لان الذى يقوم بك بصفة احساس أو شعور أو فكر أو عزم توجد له صورة بين الاجسام الخارجية بواسطة عمل المخ فالشعور الذى يحصل عند الانسان فى أي لحظة يوافق عمل المخ فى نفس هذه اللحظة وبناء على هذا يكون بحث علمى التشريح والنفس عن شيء واحد ذى جهتين مختلفتين

التأثير التبادلى بين الجسم والنفس

قد ظن هربارت انه قد ادرك التأثير التبادلى بين الجسم والنفس ثم أوضح ما يعنيه بقوله ان جميع الاشياء الحقيقية مرتبطة بعضها ارتباطاً تاما ويمكن أن يصل كل شيء الى غيره. وواضح ان هذا المحقق لم يوف هذه المسألة حقها لان الغرض بيان كيفية تأثير الماهيات على بعضها لا ارتباطها بعضها والظاهر عدم امكان حل هذه المسألة حلا شافياً لانا لا نعلم أحوال العالم الخارجي الا بواسطة تصورنا وليس عندنا علم قطعي بما هو خارج عنا ولا بما يحصل فى العالم الدنيوى فلا ندرى ما الذى يفعله الهواء لتأثيره على الاعصاب ولا نعلم ما الذى تعمله

الاعصاب لتوصيل التأثير الى المخ وجميع الحوادث الطبيعية خفية علينا على هذه الكيفية فلا يمكننا مثلا توضيح السبب فى كون الكرة المتدحرجة تحرك أخرى اذا اصطدمت فيها وغاية ما يقال ان تأثير الماهيات على بعضها يحصل على حسب نظام عمومى غير معلوم لنا بحيث اذا حصل شىء لماهية يلزم حصول مثله لاخرى مرتبطة بها

﴿ الارتباط بين النفس والجسم ﴾

ان الغرض من التربية تهذيب النفس تهذيباً تاما وجعلها صاحبة نفوذ وسلطة على الجسم وذلك يحتاج الى وجود رابطة بينهما غير انه لا يمكن اثبات وجودها اثباتاً نظريا علمياً وان دلت المشاهدة على وجودها أو قيل فى الاوقات الاخيرة ان أوصاف النفس وأعمالها وخلقتها مشروطة بخلقة الجسم واعماله وأوصافه لا سيما بخلقة المخ لانه الشرط الاعظم فى أعمال النفس اذ بدونه لا توجد أعمال لها أصلا

﴿ القريحة والاستعداد ﴾

هاتان القوتان عبارة عن صفتين مخصوصتين قائمتين

بالانسان على حسبهما يتميز كل شخص عن غيره على أكمل وجه فى جهة مخصوصة ولقد سمعنا كثيراً بوجود اختلاف عظيم بين الذكر والانثى والامم وقبائلها وقرأنا كثيراً عن بعض الامم كاليونانيين انهم امتازوا عن غيرهم بشدة ذكاء قوة التخيل وسمعنا عن بعض الاولاد بأنه ذو قريحة مخصوصة واستعداد عظيم لادراك الاشياء الخارجية مع السهولة بمجرد الرؤية بالعين أو السماع بالاذن حتى كأن خلقة هذين العضوين مثلا عنده أتم من خلقة مثلهما عند غيره

﴿ ما ذكر قديماً وحديثاً فى شأن الاستعداد ﴾

وقد قال قدماء الفلاسفة ان الاستعداد والقريحة موجودان عند كل انسان خلقة وان الاختلاف بين الناس فيهما لا ينسب الا الى التربية . ولكن الذى اثبته الفلسفة الحديثة ان الناس مختلفون جسما ونفساً خلقة ولا تشابه بينهم فى استقبال التأثيرات الخارجية وعدم استقبالها — والاختلاف الجسمى والنفسى يحصل بواسطة الوراثة وهى

﴿ تأثير الاصول على الفروع ﴾

لانك لو لاحظت المولود وهو صغير لشاهدت بلا ريب اموراً كثيرة منسوبة الى أسباب طبيعية وتراكيب خلقية تؤثر على حياته وأعماله فان شكله الظاهرى مرتبط بشكل لفائف أبيه وأمه ولو بحثت عن سبب مشابهة خلقة الاولاد للوالدين لما وجدت سوى ذلك — ولكون الاصل وجود هذه المشابهة بين الاصول والفروع ترى ان الاستغراب يأخذ منك مأخذا عظيما اذا شاهدت أن الطفل لايشبه والديه . وتوجد مشاكلة أيضاً بين الاصول والفروع فى العالم النفسى لارتباطه بخلقة الاعصاب والمخ . واذا وجد اختلاف بينهما فيه فهو منسوب الى الوسط والمعاشرة والتربية لان لهذه الامور تأثيراً عظيما على الاطفال اذا دامت زمنا طويلا ولذ ايسر على المراقب تميز الصفات الخلقية عن الصفات المكتسبة من تأثير الوسط

﴿ مملكة النفس ﴾

قد ظنوا ان لكل شيء نفساً وبنوا ذلك على أسباب

وظواهر غير مطردة . وظن آخرون ان النفس قاصرة على الحيوانات والنباتات الا انها توجد فى مركز بنية الحيوانات بخلاف النباتات . ولاختلاف تركيب الجسم الحيوانى والنباتى اختلفت الظواهر أيضاً التى هى عنوان الاحوال الداخلية وترتب على ذلك عدم امكان قياس الظواهر النباتية على الظواهر الحيوانية فعسر لهذا تدوين علم نفس النباتات وانحصر موضوع هذا العلم فى المملكة الحيوانية التى توضح لنا كثيراً من الاحوال الداخلية وقد قال بعضهم بأن النفس قاصرة على المملكة الحيوانية

﴿ محل النفس ﴾

ان النفس وان كانت جسما بسيطاً كما سبق بيان ذلك الا انها محتاجة الى محل وهو الجسم لانها لا تؤثر على العالم الخارجي الا منه ولا تتأثر الا بواسطته وقد زعموا ان نسبة النفس الى الجسم كنسبة القادر الاعلى الى جميع العالم فكما ان الفراغ الدنيوى الواسع ليس محلا له بل جميع العالم بالنسبة اليه سواء فى القرب حتى أن ارادته سبحانه وتعالى ليست مفتقرة

الى أن تسير سيراً عظيما وتقطع جزءاً مخصوصاً من امتداد الدنيا لتصل الى ابعادها الشاسعة بالنسبة لنا والى نهايتها القاصية عندنا ولا محتاجة الى أمور أخرى تستعين بها على التأثير على هذه النهاية كذلك تؤثر النفس على جميع أجزاء الجسم بلا فرق غير ان هذا قياس مع الفارق فان علم التشريح قد أثبت ان النفس لا تؤثر مباشرة الا على مركز المجموعة العصبية وان تأثيرها على بقية اجزاء الجسم بواسطة الاعصاب، وعلى هذا يكون مركز المجموعة العصبية محلا للنفس

﴿ والقول الصحيح فى ذلك ﴾

ان النفس المرموز لها بالحرف (ا) لا تؤثر على الاجزاء المجاورة لها فقط المرموز لها بالحروف (ب ,ت ,ث) بل تؤثر تأثيراً تبادليا على جملة أخرى من الاجزاء البعيدة المرموز لها بالحروف (س ,ش ,ص) الا أن التأثير لا يحصل مباشرة الا على أجزاء مركز المجموعة العصبية التى تحصل فيها التجهيزات الضرورية للتهيجات الطبيعية فاذا انتهى التهيج

اكتسبت النفس حالة مخصوصة بها تصير قوة فعالة تؤثر على جميع أجزاء الجسم — ولو امكن الاطلاع على باطن المخ كما أمكن الاطلاع على تركيب الجسم لشوهدت ظواهر نفسية فى كل جزء من أجزائه ناشئة عن الظواهر الطبيعية الموجودة فى الجسم ولما وجد محل مخصوص يمكن حصر ماهية النفس فيه ومشاهدتها منه — وعلى هذا فليس للعنصر المؤثر (١) وهو النفس محل واحد فقط وهو مركز المجموعة العصبية بل محال كثيرة وان كان غير متجزئ

﴿ دوام النفس ﴾

اذا أردت الحكم على النفس بالدوام أو الفناء واستندت فى حكمك هذا على مجرد التجارب والمشاهدات والاحوال الظاهرية ضارباً صفحاً عما ورد فى شأن ذلك فلا يسعك الا الحكم بوجودها اذا كان الجسم موجوداً وبفنائها اذا فنى — ولما كان المسموع هو دوامها وعدم فنائها والواجب على كل انسان اعتقاد ما ورد والتصديق به حاول بعضهم جعل النفس من ما صدقات الهيولى التي لا تفنى مخرجا المسموع على المعقول

غير ان هذا التخريج يترتب عليه أمران منقوضان . أولهما ان جعل نفس النوع الانسانى وحدها من ما صدقات الهيولى دون غيرها من نفوس جميع الحيوانات تحكم — وثانيهما ان هذا الجعل لا يستوجب الحكم عليها بعدم الفناء فقط بل وبعدم الاولية . مع ان البراهين والمشاهدات تقضى بأن كل شىء له أول سوى المولى سبحانه وتعالى . وبالجملة فدوام النفس غير مجزوم به عقلا وان وجب علينا اعتقاده سمعاً

﴿ بيان الخطأ فى كتاب المباحث الحكمية والصواب ﴾

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٤	١٧	النفيسة	النفسية
٢٦	١٧	أثبت	أثبتت
٥١	١٤	لاأشياء	الاشياء
١١٩	٤	(ملحوظة ص ١٠)	(ملحوظة ١ ص ١٠)
١٢٣	٤	بان الاحساس	بان المواد

﴿ مصنفات المؤلف ﴾

(١) مبدة تاريخيـة فى أحوال الترنسفال وارتباطها ببريطانيا العظمى . طبعت بمطبعة الموسوعات

(١) المباحث الفلسفية فى أحوال النفس وتربية قواها العقلية طبع بمطبعة الموسوعات

(١) وسائل الاستعمار ونتائجه فى جميع الاعصر . تحت الطبع

obeikandl.com